FLAA
كلية الأدب العربي و الفنون
Faculty of arabic literature and Art

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

جامعة مستغانم - الجزائر

أثر الرومانسية الغربية في شعراء الرابطة القلمية
إيليا أبو ماضى "نموذجا"

سُورَةُ الفَاتِحَة ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧

سُورَةُ العَلَق

ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ٨ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ١١ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ١٢ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ١٩

الإهـــداء

جامعة مستغانم - الجزائر

إلى نبع الحنان و الأمان إلى من حملتني وهنا على وهن،

إلى أمي الحنونة أطال الله في عمرها .

إلى روح أبي الذي تمنيت أن يكون معي ليشاركني

هذه الفرحة رحمه الله.

إلى أخواتي و أبنائهم .

إلى زوجي و عائلته الكريمة أهديهم هذا العمل.

إلى أبنائي قرة عيني سفيان و إسلام حفظهما الله و أطال في عمرهما.

إلى زميلاتي في العمل و خارجه.

إلى صديقاتي في الدراسة.

إلى كل من مد يد العون و لو بكلمة طيبة خاصة الأستاذ

المشرف بن دحان عبد الوهاب .

فاطمة الزهراء

الإهـــداء

جامعة مستغانم - الجزائر

بأنامل تحيط بقلم أعياه التعب و الأرق و لا يقوى على الحراك

يتكأ على قطارات حبر مملوءة بالحزن و الفرح في آن واحد .

إلى من لا يسعني فضاء العالم لأهدي لها ما حييت إلى من وضعت الجنة

تحت أقدامها إلى أطيب قلب في الوجود إلى أغلى أم في الدنيا أمي الحبيبة.

إلى معلمي ....إلى أبي الذي زج بي في أنوار المعرفة و زودني بحكمته

و موعظته الحسنة.

إلى من شاركني بطن أمي إخوتي الأحباء عبد الرحمان و خلود.

إلى زوجي العزيز و عائلته حفظها الله .

و أهدي تحياتي الخالصة إلى شهرزاد و سهيلة اللتان أمدا لي يدا المساعدة.

و إلى رفيقتي فاطمة الزهراء و إلى كل صديقاتي و كل من رأتهم عيني

و أحبهم قلبي و لم يذكرهم قلمي .

و إلى أستاذي بن دحان عبد الوهاب الذي كان سندا و عونا على

إتمام هذه المذكرة.

حفصة

جامعة مستغانم - الجزائر

مقدمة

جاءت النهضة العربية مواكبة للتغيير في العالم الغربي حيث أن الأدب العربي الحديث تأثر بالآداب الغربية تأثرا يفوق تأثره بالآداب العربية القديمة،و حصل هذا التغير عن طريق الاحتكاك مع المحتلين و البعثات العلمية إلى خارج البلاد،كما كان هذا التأثير عن طريق الترجمة أو القراءة.

فكل هذه المؤثرات أدت إلى ظهور مذاهب أدبية عديدة محاصرة بعثت الأدب العربي من جديد،و جعلته أدبا يدعو إلى التحرر من قيود الماضي و الدعوة إلى التجديد و القضاء على مظاهر الإنساني و الدعوة إلى أدب صادق نابع من القلب لا العقل،فظهرت الرومانسية العربية كردة فعل على العقول الجافة و الإيمان القوي بالعاطفة و التحرر الوجداني،فكانت منبع الحلق في أعمال أدباء المهجر و العرب عامة.

و نظرا لأهمية الموضوع أردنا البحث و الغوص فيه حتى نتعرف أكثر على المدرسة الرومانسية،و عليه طرحنا الإشكال التالي.

كيف أثرت الرومانسية الغربية في شعراء الرابطة القلمية ؟

و ما دفعنا لاختيار هذا الموضوع أسباب منها ذاتية و أخرى موضوعية،فالذاتية منها أن الرومانسية تمثل العاطفة و الأحاسيس و الصدق،أما الموضوعية فهي التعرف أكثر على شعراء المهجر عموما و شعراء الرابطة القلمية خاصة، كما انه موضوع جدير بالبحث أدب المهجر كان موضوع اهتمام كبار الأدباء أمثال"نادرة جميل سراج" في كتابها "دراسات في أدب المهجر شعراء الرابطة القلمية،و نجد أيضا "نسيب النشاوي" في كتابه "مدارس الأدب" و اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مصادر و مراجع ذات صلة بالموضوع و لمعالجة هذا الموضوع قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة و منتهية بخاتمة.

فأما المقدمة فطرحنا فيها التساؤل،و أما الفصل الأول فعنوناه "المدرسة الرومانسية نشأتها و تطورها"، وتتضمن مبحثين فالمبحث الأول بعنوان "الرومانسية الغربية النشأة و التطور"

و المبحث الثاني بعنوان "الرومانسية العربية النشأة و التطور" و تعرضنا لذكر خصائص كلا المدرستين في المبحثين

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان: "الرابطة القلمية " و تضمن مبحثين، فالأول كان "نشأة الرابطة، تأسيسها، صدورها، و نهايتها".أما المبحث الثاني فخصصناه "لأعلام الرابطة القلمية"، أما الفصل الثالث فعنوانه:"اثر الرابطة القلمية بين التأثير و التأثر" و تضمن ثلاث مباحث الأول بعنوان:"اثر الرومانسية الغربية في شعراء الرابطة القلمية" و المبحث الثاني بعنوان:"اثر الرابطة القلمية في الشعر العربي الحديث"،أما المبحث الثالث فخصصناه لدراسة حياة الشاعر "ايليا أبو ماضي" و تعرضنا لحياته و هجرته و الجانب التفاؤلي في شعره. و انهينا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تطرقنا إليها خلال بحثنا.

و اقتضت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي .

و لا شك أن كل بحث تعترضه بعض الصعوبات و إذا كنا لا نرغب في البحث عن المبررات لتقصيرنا إلا انه لا بد من الإشارة إلى بعض العقبات التي وقفت دون بلوغنا الأهداف المرجوة أو يمكن فيما يلي:

صعوبة الحصول على المراجع المتعلقة بالبحث لكثرة الطلب عليها و لقلة تواجدها .

صعوبة التوفيق بين وقت العمل و وقت الدراسة .

أما في الأخير نتوجه بالشكر للمشرف على دعمه لنا بتزويدنا بالمعلومات القيمة المتعلقة بموضوع بحثنا و سعة صدره و دعمه لنا و الحمد الله على توفيقه لنا.

الفصل الأول

المبحث الأول:

* التعريف و النشأة :

إن الرومانسية مدرسة أدبية تقوم على تجاوز القواعد المقررة، وهي بالأساس حركة أدبية أوروبية، ظهرت في ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر، ثم في فرنسا و ايطاليا و اسبانيا، في أواخر القرن التاسع عشر، و هي تؤمن بتفوق الخيال على التحليل النقدي، و على العقل، و تلجا إلى الرمز و الغموض، و الانطلاق في عالم الخيال و تجنح إلى الفردية، و تعارض الأنظمة الاجتماعية،و تدعو إلى عبادة الذات.

و يرجع الأصل في كلمة(الرومانسية) إلى الكلمة الفرنسية (رومانس) و معناها: قصة أو رواية سواء أكانت واقعية أم خيالية، و لكن الكلمة دخلت الأدب الانجليزي، بمفهومها الخيالي فقط في القرن السابع عشر، وأصبحت تعني الأشياء التي ارتبطت بالخيال الجامح، و الغراميات الملتهبة و لكن في القرن الثامن عشر بدأ الناس في أوروبا ينظرون إليها نظرة أكثر احتراما،بحيث أصبحت مرتبطة بالتأمل الفلسفي العميق في الكون و الحياة و الطبيعة، و التفكير الذي تشوبه مسحة من الحزن، و لإدراك الناس أن القدر يتربص بكل شيء جميل حتى يغذيه ، تمسك الرومانسيون أو الإبداعيون بالمذهب الأدبي الجديد، الذي وجدوا فيه أكثر من فرصة لأن يحلقوا بإبداعاتهم الفنية الجديدة، التي أخذت تلامس شغاف قلوب عدد كبير من الناس. و في نهاية القرن الثامن عشر، أصبحت الكلمة شائعة لدرجة أن الأكاديمية الفرنسية اعترفت بالمصطلح و أدخلته في قاموسها. كما تطور مفهوم المصطلح في الأدب الانجليزي في القرن التاسع عشر و أصبح يعني إليهم التغني بجمال الطبيعة، و البعد عن مظاهر التعقيد الصناعي، و التوتر الحضاري الذي نجم عن مفرزات الانقلاب الصناعي الأوروبي، وانتقل المفهوم نفسه الأدب الألماني،و لكن الناقد الألماني"**فردريك شليجل**""**Friedrich Schlegel**"كان أول من وضع الرومانسية كنقيض للكلاسيكية،ثم تبعته الأديبة "مدام دي ستايل"التي زارت"**شليجل**" **Schlegel** "و كتبت دراسات ناقدة تفرق فيها بين الشعر الكلاسيكي و الشعر الرومانسي، وعندما ترجمت كتاباتها الانجليزية بدأ الناس يفهمون معنى محددا لكلمة (الرومانسية)[1].

---

[1] التذمري محمد غازي ،الغازي كمال ياسين ، نظرات في الأدب العربي الحديث ، دار الإرشاد بحمص ط1 1996-1997 ص21.

وظهرت الرومانسية، بعد الثورة الفرنسية الدامية، حيث فزع الأدباء و الشعراء إلى نفوسهم و وجداناتهم، يلوذون بتجاربهم الباطنية، و يهتمون بمشاهد الجمال و الطبيعة، و يميلون إلى الأصالة و الابتكار و التجديد. متحررين في أفكارهم و أساليبهم، منبعثين في أثارهم عن انفعال قوي، و عواطف و مشاعر جريئة، و سمي هؤلاء الرومانتكيين أو الإبتداعيين، و هذه التسمية انجليزية أطلقها **"ستندال" "Stendhal"** في كتابه (راسين و شكسبير)[1].

و جاءت الرومانسية لتعلي من شأن العاطفة و تحتكم إلى القلب و تعبر عن أحلام الفرد و مشاعره، و هي في كل هذا تناقض الكلاسيكية، التي حرصت على عقلية المشاعر، و اهتمت بما هو عام مشترك، و أهملت النوازع الفردية.

و من قبل اشرنا إلى التغير الاجتماعي و ظهور المدن، و نمو الطبقة الوسطى، و ما تبعها من بزوغ النزعة الفردية، و قد تركت الحروب الاستعمارية، و الثورة الفرنسية بصفة خاصة، و سيطرة "نابليون"و نهايته، أثارها في تعميق الملامح الرومانسية، فالحرية و الإخاء و المساواة شعار رفعته الثورة، و دعا إليه المفكرون، و أصبح حلم الأدباء و البطل الفرد الفذ، و الوحدة القومية حلم أخر زكاه "نابليون"، و كذلك إرث سقوطه و تبديد ما بناه شعور الضياع و الانطفاء عند جيل الأدباء و الشعراء الجدد خاصة.

فالرومانسية كانت ولودا بدرجة جعلت البعض يرى أنها الأم الحقيقية لكل ما جاء بعدها من مدارس الأدب، بمعنى أنها كانت تنطوي على بذور تلك المدارس.

و الرومانسية مذهب ثوري على المستويين: الفكري و الأدبي، فمن ناحية الفكر تقر بمبدأ الحرية بغير حدود، أنها من ثمرات الثورة الفرنسية و انتصار الاستقلال الأمريكي و غزو مجاهل العالم (الاستعمار)لكشف عوالم جديدة و إخراج أهلها من ظلمات التخلف إلى نور الحضارة،كما أن الرومانسية تبنت أهداف الطبقة الوسطى و طموحاتها و أحلامها و مثلها و في مقدمتها: الحرية و الفردية. لقد أصبح الكاتب نفسه من هذه الطبقة الوسطى، و ساعدت(المطبعة)على انتشار القراءة، و إمكان الكاتب أن يعيش على دخله من مؤلفاته، لهذا لم يعد يدين بوجوده لرعاية الطبقة العليا، كما كان الأمر في العصر الكلاسيكي[2].

[1] خفاجي محمد عبد المنعم ،مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية،ط1 1416-1995 ص154

[2] محمد حسن عبد الله ،مداخل النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية السعودية، للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة 2005ص84.

إن الرومانسية- بانتساب الكاتب إلى الطبقة الوسطى و احتمائه بها- أصبحت تعبر عن ذوق جديد، مختلف تماما لما كانت تحرص عليه الكلاسيكية[1].

و لقد كانت للتوجيهات الفلسفية الجديدة في هذا القرن أثر في الابتعاد عن الكلاسيكية و سماتها فإذا كانت فلسفة "ديكارت" العقلية وراء ترسيخ الضوابط الكلاسيكية، فان لفلسفة "كانت" أثرها في توجيه الفكر الأدبي و النقدي نحو التعبيرية، فقد كان(يرى بأن طريق المعرفة الحقيقية هو الشعر)، و جاء بعده "هيكل" الذي عمق من التأكيد على الذات الإنسانية و اعتبر الإيمان بالعالم الخارجي متوقفا على هذه الذات، و مادامت الذوات تتغير، فإن كلا منها يخلق العالم على صورة خاصة. و هذا يعني أن الذاتي يخلق الموضوعي، و أن العالم الداخلي للذات العارفة هو أساس صورة العالم الخارجي لديهما.

و مادام الأمر كذلك فلا بد أن يقوم الشعر و الوجدان و العاطفة على العقل و الخبرة و التجربة.

و من أسباب ظهور الرومانسية كذلك اكتشاف **"شكسبير" "Shakespeare"** وتأثير أدبه الذي لم يتقيد بالوحدات الثلاث**(وحدة الزمان و المكان و الحدث)** و لم يلتزم بمبدأ الفصل بين الأنواع التي كان اليونانيون و الكلاسيكيون الجدد يتقيدون بها، بالإضافة إلى ما في أدبه من قدرة على التحليل و وصف العواطف الإنسانية و الأخلاق البشرية[2].

تاريخ المدرسة الرومنسية الغربية

- الرومانسية الانجليزية:

إن الرومانسية الانجليزية بدأت مرحلة النضج بأشعار**"توماس جراي" "Thomas Gray"** و**"وليام بليك""William Blake"**و بلغت قمتها في أشعار **"وردزورث"** و**"شيلي"** و **"كيتس"** و **"بايرون"**و **"كولريدج"** فأشعارهم زاخرة بالعاطفة الجياشة و الإحساس العميق و الفردية المتطرفة و الغموض الميتافيزيقي...[3]

---

[1] المرجع السابق، مداخل النقد الأدبي الحديث، ص84

[2] شلتاغ عبود شراد، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث،دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ط1 عمان-الأردن 1998 ص197.

[3] النشاوي نسيب، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الاتباعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984 ص160.

و كان لديهم إيمان عميق بأن الشاعرلا يكتب إلا عن طريق الوحي و هذا الوحي يأتي عن طريق الحلم. كما فعل **"كولريدج" "Coleridge"** في قصيدة **"كوبلاخان"**- أو لمسة سريعة من الطبيعة تتمثل في طيران قبرة أو عندليب.

- الرومانسية الفرنسية:

لقد مهد التيار العقلي الذي كان يمثله**"فولتير" "Voltaire"** لنشوء المدرسة الرومانسية في فرنسا. و كان يسانده تيار روحي، يشيع الجانب العاطفي لهذا المذهب يمثله**"روسو" "Rousseau"**1812-1778 الذي يعد جداً للمذهب الرومانسي في فرنسا.و نقلت **"مدام دي ستايل"** إلى فرنسا المذهب الرومانسي عن ألمانيا.و كذلك فعل**"شاتوبريان" "Chateaubriand"** إذ نقل إلى فرنسا ترجماته عن الرومانسية الانجليزية. و يرى**"فان تيجم""Van tieghem"** أن هاتين الشخصيتين هما معلمتا الرومانسية المباشرتان.

و يمكن القول أن إنجازات**"شاتوبريان""Chateaubriand"**1867-1747 و**"مدام دي ستايل"** في عالم الأدب لم تكن بكافية.....لتؤثر في تشكيل حركة جديدة، و لعل العشرينيات من القرن التاسع عشر كانت بمثابة الحرب بين الرومانسية و الكلاسيكية. و هي المرحلة التي شهدت أول عرض لمسرحية**"هرناني""لفيكتورهوجو""Victor Hugo"**1802-1885 و كانت ليلة العرض الأولى بمثابة افتتاح العصر الرومانسي،لدرجة أن الجمهور هجم على المنصة و حمل الممثلين و المؤلف على الأعناق خارج المسرح. و هم بين هتاف و بكاء و يعد**"الفونس دي لامارتين""Alfanse de lamartine"**1790-1869 من مشاهير الشعراء الفرنسيين و هو زعيم الحركة الرومانسية.

- الرومانسية في ألمانيا و ايطاليا و اسبانيا:

في ألمانيا ظهر التعايش السلمي بين الكلاسيكية و الرومانسية.لأن الألمان لم يكونوا يهتمون كثيرا بالاصطلاحات و التسميات بقدر اهتمامهم بالأدب الألماني في حد ذاته، و كانت الرومانسية قد بدأت بديوان**"الكواكب و الأفلاك"**الذي ألفه شعراء**"مدرسة جوتنجن"** 1772 و في العالم التالي كان "غوته" طليعة الانطلاق،فألف روايته الرومانسية الشهيرة**"آلام فرتر"**وجاء**"شيلر""Schiller"**1759-1805 بروايته**"روبير"**1782 أما في ايطاليا فقد أصبح اصطلاح رومانسي في الأدب يعني ليبراليا في السياسة، و وصل المد الرومانسي ضعيفا و منهكا عند حدود الشواطئ الاسبانية. و امتدت عدوى الرومانسية إلى الفنون التشكيلية. و كان من ابرز روادها **"تيودور"[1].**

[1] المرجع السابق، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الاتباعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية، ص162.

عوامل نشأة الرومانسية الغربية:

سبق ميلاد الرومانتكية في أوروبا عوامل كثيرة منها ما يرجع إلى العصر: خصائصه الاجتماعية و السياسية، و منها ما يرجع إلى التيارات الفلسفية السائدة التي مهدت تمجيد العواطف و الإشادة بها، و منها ما يرجع إلى اهتداء أوربا إلى منابع أدبية جديدة، أتيح للآداب الأوروبية أن تمتاح منها و تتشبع بها، قبل أن تظهر الرومانتكية مدرسة ذات قواعد محددة.

و لابد من الإلمام بهذه العوامل جميعا ليتسنى لنا فهم المبادئ الرومانتكية في مصادرها.

كان القرن الثامن عشر في أوربا عصر زلزلة في القيم و تبدل في الطبقات الاجتماعية و استخفاف بالمبادئ القديمة. و على ما يصحب مثل هذه الحال عادة من بعض التحلل الخلقي، و قد قامت إلى جانبها جهود جدية ترمى إلى التحرر السياسي و الفكري. و تمثلت هذه الجهود في الطبقة البرجوازية التي أخذ يتكاثر عددها كلما تقدم بها ذلك العصر. و أخذت كذلك تتطلع إلى الظفر بحقوقها السياسية و الاجتماعية على حساب الطبقة الارستقراطية. و قد كان الكاتب الكلاسيكي يعتمد على الطبقة الارستقراطية التي كانت تعوله. و كان يعتقد أن العبقرية لا تقوم مقام نبل المولد، فهو سعيد لأنه يشغل مكانا متواضعا في بناء فسيح الرحاب ركناه الكنيسة و الملكية، و لكن حين ظهرت الطبقة البرجوازية في القرن الثامن عشر وجد للكاتب جمهور جديد يقرأ له، و يمكنه أن يعتمد عليه، و يتطلب منه ذلك الجمهور أن يساعده على نيل حقوقه. و كان كثير من الكتاب يشعر بأن جمهوره الجديد من طبقة مهضومة الحقوق،و هي الطبقة البرجوازية التي نشأ فيها هؤلاء الكتاب، فاختاروا لأنفسهم أن يتحرروا من قيود أسلافهم، ليناصروا مطالب طبقتهم، و ليساهموا بذلك في هدم الطبقات الطفيلية من الارستقراطيين. و بذا اتجه الأدب اتجاها شعبيا، لا في اختيار الأشخاص و الموضوعات الشعبية و التحدث عن المشاعر الفردية فحسب، بل في التعبير عن الآمال العامة للطبقة البرجوازية كذلك.

و قد توجت هذه الجهود بالثورة الفرنسية التي كان تأثيرها عميقا في الأدب الرومانتيكي في أوربا جميعا، بما أوحت من أفكار جديدة في علاقة الأدب بالمجتمع[1].

[1] غنيمي هلال محمد، الرومانتكية، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ص26.

فأوحت إلى أدباء انجلترا باتجاهات ثورية كان لها صداها في أدبهم،بل كانت أهم الأسباب في توجيههم الوجهة الجديدة. فنادوا (بأن فرنسا ستفرض الحرية على العالم منذ أن قامت عملاقة و حلفت يمينا هز السماء و الأرض و البحار أنها ستصير حرة....).

و قد كان للثورة الفرنسية كذلك أثر في الأدباء الألمان، فرأو في الثورة (فجر عهد جديد)، حتى سموا باريس:(عاصمة العالم). و إعتقدوا أن فرنسا ستكون (أثينا الجديدة). و لكن انحراف تلك الثورة في بعض فتراتها كان سببا لخلق الشعور الوطني عند الكتاب من الانجليز و الألمان. و كان هذا الشعور ذا أثر كبير في الرومانتكية أيضا، إذ وجه الكتاب إلى استحياء تراثهم الوطني و الأدبي القديم و إلى الاعتداد بأنفسهم. و قد ساعدت الثورة على تدعيم حرية الكاتب بإقرارها مبدأ الحرية العامة، و بهدم النظم الاجتماعية و السياسية السابقة،فأوجدت بذلك فجوة بين الكاتب و ماضيه و لم يكن للثورة أن تؤتى ثمارها في هذه الناحية لو لم يسبقها عامل آخر صبغ ما قبل الرومانتكية صبغة جديدة ألا و هو عامل الأسفار و الرحلات.

و لم تكن تلك الرحلات في البدء غايتها الموازنة بين العادات و المبادئ و الفلسفات والديانات، بغية الوصول من وراء ذلك إلى معنى النسبية في الأدب و الفن. و كانت نتيجة ذلك أن أمحت العقلية الكلاسيكية التي كانت تؤمن بأن المبادئ و الأفكار عامة لا يختلف فيها أحد من الناس.

و قد أدت المعارضة و الموازنة إلى الشك في كل شيء، حتى في بعض مبادئ الدين على حسب ما تقضى به كتب العهد القديم. و قد ساعد الرحالة على إطلاق خيال مواطنيهم في الحلم بحياة خير من حياتهم في المناطق البعيدة و في الأفق المجهول. و قد أدت هجرة البروتستانتيين الفرنسيين لألمانيا إلى توثيق صلة ثقافية بين الأدب الفرنسي و الألماني كان لا سبيل إليها بدون هذه الرحلة.

فكان في مدينة همبورج وحدها أربعون ألف مهاجر فرنسي،لهم مسرحهم و ناديهم و جرائدهم و مجلتهم. كما كانت فرنسا منتجع أدباء أوربا في مطلع الرومانتكية، و خاصة في عهد الثورة[1].

[1] المرجع السابق، الرومانتكية، ص26-28.

فأدى ذلك كله إلى إيجاد ثقافة جديدة هي نتيجة طبيعية للثورات حين تنتصر، و كان في العصر تيار آخر وراء هذا الصراع الطبقي و الثقافي الذي أجملنا القول فيه، هو التيار الفلسفي الذي مهد للحساسية و الشعور، و ظهر أثره فيما بعد في أدب أمثال "روسو **Rousseau**" الفرنسي و "ريتشاردسون" الانجليزي و "شيلر **Schiller**" الألماني.

فهناك مسالة شغلت الفلاسفة و الفنانين معا طوال القرن الثامن عشر:ما الجمال؟و ما مقاييسه؟ و كانت الإجابة عليها يسيرة هينة في العصر الكلاسيكي، فما الجمال إلا انعكاس الحقيقة.و الجمال هو في كل العصور و في كل الأقطار،شأنه في ذلك شأن الطبيعة. و لكن المسالة أصبحت معقدة عند المفكرين الذين أثروا ببحوثهم في الرومانتكية إذ مرد الجمال عندهم إلى الذوق. و الذوق فردي.و خلق الفنان للجمال يستتبع القريحة أو العبقرية، و من هنا وجدت مسائل أخرى: فما الذوق؟و ما هي العبقرية؟فيض من بحوث زلزلت القواعد الكلاسيكية. فبعد أن كان الجمال موضوعيا أصبح ذاتيا، و بعد أن كان مطلقا صار نسبيا،و بعد أن كان تطبيقا لقواعد تجريدية صار مرده إلى تقاليد تجريبية خاصة أساسها الحاسة النفسية التي هي منبع ما فينا من مشاعر و عواطف، وهي التي تجعلنا نبحث عن المتعة في الشيء الجميل و نشعر بها. و كان هذا هو الأساس المشترك لفلاسفة الانجليز العاطفيين جميعا، و لكثير من الفرنسيين في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

و كانت العاطفة هي أيضا طريق الحقيقة التي لا يتطرق إليها الشك، لأن الشك خاصة التفكير. ثم إن العاطفة منبعها الضمير،و هو(قوة من قوى النفس قائمة بذاتها، و هو غريزة خلقية تميز الخير من الشر عن طريق الإحساس و الذوق). و كانت هذه الفلسفة و ما ينتج عنها من مبادئ و أسس لقوى دعامة للرومانتكيين في ثورتهم الشعورية و العاطفية و أساس خيالهم وأحلامهم. فالفهم و الشعور يكونان وحدة الإدراك، و في هذا تنحصر مقومات الذاتية الرومانتكية في اعتدادها بالعاطفة،و إيمانها بحقوق القلب، و ثورتها على قيود المجتمع التي تحد من هذه الحقوق، و في تساميها بالحب و تقديسها لحقوقه بصفة عامة[1].

[1] المرجع السابق، الرومانتكية، ص30-32.

و في هذا رجوع من الرومانتكيين إلى الفلسفة الأفلاطونية في الحب و العاطفة مما نرى ذلك عند **"روسوRousseau"**، الذي يعد من أباء الرومانتكيين في أوربا جميعا. **"فروسو"** يؤمن بأن عاطفة الحب مقدسة، و أن ما تقضى به موافق للتدبير الإلهي الذي لا ينبغي أن تقوم دونه عقبات أو تقاليد مهما تكن، و أخيرا كان للفلسفة العاطفية أثر في هيام الرومانتكيين بجمال الطبيعة و حبهم للخلوة بين أحضانها. و إلى هذه العوامل الاجتماعية و الفلسفية قامت عوامل أدبية جديدة أتاحت للحركة الرومانتكية أن تظهر في صورتها الكاملة و لا بد لنا من إجمال القول فيها.و لم يقتصر تأثير **"شكسبيرShakespeare"** في الأدب الرومانتيكي على عبقريته في التحليل و تفرده في وصف الأخلاق والعواطف الإنسانية و على الطابع الذاتي في استيحاء نماذجه البشرية من الطبيعة دون رجوع إلى تقليد الآداب القديمة، بل إنه أثر في الأدب الرومانتيكي كذلك في النواحي الفنية، فحين دعا **"فكتور هوجوVictor Hugo"** إلى ترك التقيد بالوحدات الثلاث في المسرح، و إلى خلق مسرحية تمتزج فيها المأساة بالملهاة، و إلى عرض الحوادث الأساسية على المشاهدين دون لجوء إلى حكايتها على ألسنة أشخاص آخرين، كان يتخذ **"شكسبير"** قدوة فنية له في كل ذلك. و كان يدعو الرومانتكيون إلى احتذائه لأن أدبه اشد صلة بالحياة. و قد أكتشف الالمانيون **"شكسبير"** بعد الفرنسيين، و أعجبوا فيه بنفس النواحي التي أعجب بها المجددون من كتاب فرنسا و نقادها، على أن ذلك الاكتشاف كان أكثر ثمرات في الأدب الألماني. فقد رأى فيه بعض كتابهم أنه شاعر المصائر الإنسانية، تلك المصائر المحصورة بين الحرية الموهومة و النهايات المحتومة، و كان "غوته" من جمعية الكتاب الألمان الذين أطلقوا على أنفسهم اسم"شتورم اند درانج" أي(العاصفة و الانطلاق). و من اكبر من ساهموا فيها "هردر" و "شيلر"، و قد تأثروا جميعا "بشكسبير" في نواحيه الفنية و الفلسفية التي سبقت الإشارة إليها، كما تأثروا كذلك خاصة "بسترين" من بين الانجليز،ثم "بديدرو" و "روسو" من بين الفرنسيين، و كانوا هم صورة مصغرة للحركة الرومانتيكية الألمانية فيما بعد، إذ نادوا بمبادئ ثورية في الأدب و المجتمع، فأنكروا القواعد الكلاسيكية لأنها تقيد العبقرية، و ظلت الحرية هي الكلمة المرددة كل أن على لسانهم[1].

---

[1] المرجع السابق، الرومانتكية، ص32-34.

فكان مرسوما على خاتم "كلنجر" طائر هارب من قفصه، و قد كتب إلى جانبه هذه الكلمة باللغة الفرنسية:(في الحرية سعادتي)،وثاروا لذلك على امتيازات الطبقات. و كانوا يفضلون وحي العاطفة على ضوء العقل. و لا يعرفون لأنفسهم سيدا آخر غير القلب،مقلدين في ذلك روسو. ولذا طالما ذرفوا الدموع على المآسي التي تفيض بها الإنسانية. و وجدوا في ذلك الحزن لذائد لاذعة هي متعة الاسيان. و طاب لهم الاستسلام إلى الحزن الهادئ في حبهم. و مع هذا الاتجاه العاطفي تطلع ذلك الجيل العاطفي إلى العمل الدائب لخير أوطانهم. فكانوا يحقرون رجال القلم على الرغم من أنهم أبناء تلك المهنة، و يصفون في قصصهم و كتاباتهم أبطالا عمليين ذوي مهن، فيهم تلك الحميا و لهم تلك العواطف المشبوبة لأنهم كانوا يرمون إلى نشر جميع فضائل الروح و الجسم، ثائرين على كل ما يحد منها،متطلعين إلى خلق عالم خير من ذلك العالم. و عراهم ذلك الحزن الذي صار طابعا لهم،و لكنه حزن الثائر المتمرد الأمل. و كان أدبهم موردا خصبا للرومانتكيين الخلص فيما بعد.و على الرغم من الفرق العظيم بين ذلك الحزن المتعلل الأمل الذي تحدثنا عنه، و بين الخواطر القاتمة و الأفكار اليائسة في شعر القبور و الليل الذي أنتجه القرن الثامن عشر، فقد كان كلاهما ذا اثر عميق في الحركة الرومانتكية. و شعر القبور و الليل تقليد سرى إلى جميع أوربا من الأدب الانجليزي منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر، و كان الانجليز يسمون شعراءه(مدرسة القبور)و ذلك أن القبر و ما حواه من الأهل و الأحباب كان موضوعا محببا لجماعة من قسس الريف الانجليز فلاسفة و شعراء، و كانوا ينظمون خواطرهم أمام تلك القبور ليلا. فكان الليل موحيا لهم بخواطر تدور حول الموت و الخلود. و كان الرائد في هذا الباب الشاعر و الفيلسوف الانجليزي الدكتور "يانج" في لياليه و خواطره في الحياة و الموت و الخلود. و تعد خواطره تلك ثورة في عالم الشعر،لا في معانيها الدينية و مواعظها الخلقية،بل في خيالها الذي يزلزل القلوب و المشاعر حين يبدو "يانج".

هذه هي أهم العوامل الاجتماعية و الفلسفية و الأدبية التي أثرت في نشأة الرومانتكية و كانت ثمراتها ظاهرة في اعتداد الرومانتكيين بذات أنفسهم و في اتخاذ عواطفهم هاديا لهم، ثم في نشدانهم الحرية في أدبهم و مثلهم المختلفة[1].

[1] المرجع السابق، الرومانتكية، ص34-36.

هذه الحرية المقدسة التي كانت يسمع صداها مترددا في كل مكان، و قد بحثوا في كل ما يدعمها و يشد من أزرها كما رأينا فيما سبق، و كان نشدان الحرية في مظهرها الفني و الأدبي باعثا على نشدانها في كل ميدان. فالفرد حر،و الفكر حر،و العاطفة حر، و التعبير الأدبي حر[1] .

خصائص المدرسة الرومانسية الغربية:

1 - الرومانسية و حال الإنسان في المجتمع:

خلقت الشخصية الرومانسية لها أمالا جعلتها تضيق ذرعا بالمجتمع الذي تعيش فيه، و بما يسوده من تقاليد. و يتطلع الرومانسيون إلى سعادة حرمهم إياها المجتمع و ماله من قوانين، و من الطبيعي أن يصحب هذا الشعور أفكار و آراء تتصل بالمجتمع و الثورة و مركز الفرد،و يعتقد"روسو"أن الإنسان الفذري كان سعيدا عندما كانت حاجاته محدودة في حياة تحققت فيها المساواة بين الناس، تهديهم فيها غرائزهم، دون أن تفسد عليهم أطماعهم صفاء هذه الحياة و سعادتها،و لقد اختفت المساواة عندما دخلت الملكية، مما أدى إلى شعور الناس بالبؤس و المعاناة. و يرى الرومانسي أن المجتمعات ظالمة آثمة و كانوا يعطفون على ضحاياهم من اليائسين، متأثرين في ذلك بآراء**"روسوRousseau"**، هذه الآراء التي لقبت رواجا-و خاصة بعد الثورة الفرنسية—إذ شعر الرومانسيون بالنقمة من المجتمع و ما فيه من مظالم، فهم يدعون إلى خلق فطري سمح،تتوافر فيه سعادة لأبناء وطنهم، يقول**"فيكتور هوغوHugo Victor"**في مقدمة(البائسين):(نتيجة لقيام القوانين و العادات يوجد نوع من اللعنة الاجتماعية التي تصطنع أنواعا من الجحيم فتعوق بمقدور الناس المقدور الإلهي لمصير الفرد)[2].

---

[1]- المرجع السابق، الرومانتكية، ص 36-44.

[2] عثمان نغم عاصم الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتجية ،العتبة المقدسة ط1، 2017- 1439 ص52-53.

و يرى بعض الرومانسيين أن المجتمع مسؤول عن ضحاياه، و لا لوم على هؤلاء في بؤسهم إذ أتوا في المجتمع يعد شرا أو خبثا، لأن ما يفعلونه في هذا اثر لجناية المجتمع عليهم و لا اختيار لهم فيه، و قد أساء الرومانسيون بمجتمعهم الظنون، إذ يصرح "فيكتور هوجو" في مقدمة مسرحيته (إرناني) قائلا: (المجتمع فرد واقعه أحمق). و لذا يسمو الفرد عندهم بمقدار تحرره من أثار المجتمع و تقاليده، و سمو الفرد لا يتوافر إلا لصفوة،هم الكتاب،ورجال المثل العليا،و يرى "شيلي" الإنسانية سعيدة في المستقبل من ثنايا تفكير الحكماء، و الشعراء، و المضحين في سبيل الإنسانية. و كان سخط الرومانسيين بمجتمعهم عاما على مجتمعاتهم، و لذا ترفعوا عن الاندماج في الشعب، و تعالوا عن الاشتراك في شؤونه إلا ثائرين. و هذا مصدر كبرياء ينتقمون بها من مجتمعاتهم، و بها تكتسب حياتهم نوعا من جلال الغموض و من ارستقراطية – التفكير، و من مهابة العبقرية لدى معظم الناس. و قد وصف الأدب الرومانسي بأنه أدب الثورة، فالثورة هي الموجهة به و المسيطرة عليه. و الرومانسيين هم أبناء الثورة،و رويت أفكارهم بدمائها.و يرى "فيكتور هوجو" أن بحصول الثورة (أشرق فجر جديد، و تحطم القيد الثقيل في قدم الجنس البشري..... و برئ الإنسان من المخاوف و الأحقاد و الأوهام، و اختفى الطغيان، و مع ركام الميراث القديم المنهار هوى الجهل، و الظلال و البؤس و الجوع و حق الملوك الإلهي). و يعد "بيرون" و "شيلي" من ابرز الرومانسيين الانجليز، فـ"بيرون" يأسى ما آلت إليه الثورة الفرنسية. فكان "بيرون" ضعيف الأمل في نتائج الثورة الفرنسية بعد انحرافها، و لكنه كان يعترف بأثرها الطيب في توجيه الشعوب إلى عهد جديد أقل بؤسا. و يؤكد "شيلي" عقيدته في مستقبل خير للإنسانية في الأرض،إذ تختفي المظالم، و تتحقق بالعدالة سعادة الناس في هذا العالم بفضل جهود الحكام و الشعراء و المصلحين الذين يرشدون الإنسانية إلى مثلها[1] .

[1]- المرجع السابق، الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية ، ص 53-56.

2- الرومانسية و المشاعر الإنسانية:

تشكل العاطفة الإنسانية عماد الأدب الرومانسي،فقد أطل الرومانسيون العنان لإحساسهم الفردي حتى جاء أدبهم صورة لذات أنفسهم، و يرى **"وليم وورد زورث" "William Wordsworth"** أن الشعر الجيد كله فيض تلقائي- للمشاعر القوية، و يوضح "الفريد دي موسية" أن الشعر عاطفة أكثر منه عقلا، و أنه – ينبغي التعبير عن هذه العاطفة تعبيرا مطبوعا و صادقا، و يقول "الامارتين" عن أشعاره سنة 1830 (أنها تنم عن الإنسان أكثر مما تنم عن الشاعر).

و يؤكد سنة 1834 أن الشعر – و هو أسبق الفنون و أكملها – صوت النفس الذي يتدفق بأدنى قدر في الصنعة، يتدفق ارتجالا و هو صوت النفس أيضا لدى "هوجو" مؤلف (الأصوات الداخلية) أنه (تصوير عميق للانا) و أضاف سنة 1856 ردا على هؤلاء الذين انتقضوا من موقفه(و لكني عندما أتكلم عن نفسي أتكلم عنكم). و تتجلى الذاتية الرومانسية في عدم الرضا بالحياة في عصرهم و في القلق أمام أعمالهم و ما يعجب به من أحداث، و في الحزن الغالب على أنفسهم في كل حال دون أن يجدوا له سببا. و هذه الحال ناشئة من عدم توازن القوى النفسية عند هؤلاء إذ طغى الشعور عليهم بذات أنفسهم- طغيانا دفعهم إلى النقمة على كل ما هو موجود، و التطلع إلى مالا يستطيعون تحديده، خاصة في عالم السياسة و الخلق و الأدب. و لا بد أن يصدر هذا الاضطراب النفسي من عصر تزلزلت فيه الأسس الاجتماعية، و ضعفت فيه سيطرة العقائد الدينية كما أتت بعدها الأديان السماوية و وهن سلطان العقل لتنطلق الحساسية و الشعور دون عناء.

عمد الرومانسيون إلى الانطواء على أنفسهم و نشدان مثال لهم، لذلك اتسعت الهوة بينهم و بين الواقع و ما ينشدون من مثال،فالرومانسي غريب في عصره بشعوره و إحساسه، و لذا كان عصبي المزاج، و نفسه سريعة التأثر و عقله جسور ولوع بالجري و راء المتناقضات و بالتطرف في كل أحواله، و قلبه عامر بعواطف إنسانية عمادها الوطنية أو الحرية، أو الحب القوي الذي يعلو- بنفوس ذويه، و هو في كل ذلك معتد بذاته، يعتقد أنها مركز العالم من حوله و لذلك يجب أن يتميز عمن يحيطون في خلقه و عاداته و مبادئه و في ملابسه و لهجته. و كان أدبه ذلك التفرد و تلك الأصالة[1].

[1] **عثمان نغم عاصم**، الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية ، ص 56-59.

لم يكن الرومانسي عادة بالمرح و لا بالمتفائل، و إنما كان فريسة ألم مرير بسبب الجفوة بينه و بين مجتمع لا يقدر ما فيه من نبل الإحساس، و نتيجة انهيار أماله الواسعة، و تعذر ظفره بالمثال المنشود، و لذا كان الحزن طابع الرومانسيين، و هو حزن يدل على عزلتهم الروحية و نفورهم من المجتمع، كما يدل على رهافة الشعور إلى درجة لا تستقر في قصصهم و مسرحياتهم، إذ يتمنون الموت في أسعد لحظات حياتهم، لشعورهم بأن هذه السعادة لن تدوم و تعالي الرومانسي على الجماهير لا يعني أنه عدو لهم بوصفهم من الناس،لأن همه العطف على المظلومين، و الثورة من أجلهم، و لكن العبقرية لا يلائمها أن تنغمس في سواد الناس، يقول بيرون: (الهرب من الناس لا يعني ضرورة أن المرء يبغضهم، إذ ليس كل امرئ مهيأ لمشاركتهم في حركاتهم و أعمالهم). و لشدة شعور الرومانسي بالعزلة و الجفوة في سواد الناس ينطوي على نفسه، و يستغرق في تفكيره في ذاته. و أن توقد إحساسه يسبب له القلق و الضيق.

3 – الرومانسية و العاطفة:

كان الحب موضوعا رئيسا في الآداب المختلفة على مر العصور، فكان حديث الشعراء، و موضوع كثير من القصص و المسرحيات و لكنه لم يبلغ ما بلغه في عصر من عصور الآداب الأوروبية ما بلغ في عهد الرومانسيين و النظر إليها نظرة جديدة، كما في أدب "ستيرن" و "رتشاردسن الانجليزيين، و في نادي"مدام دي لمبير" و كثير من الفرنسيين في باريس. فقد كان الحب في بعض الإنتاج الأدبي .

فضيلة أو طريقا إلى الفضيلة. و إذا اتخذ الحب عند الرومانسيين أهمية خاصة ـ فمرد ذلك ـ أولا- إلى غلبة العاطفة على العقل و الإرادة، غلبة الحياة العاطفية على المظاهر الأخرى للشخصية، و ذلك طابع جوهري للنفس الرومانسية،كان يسيطر على الأدب شيئا فشيئا مٌذ "روسو". و أي العواطف أعظم قسرا لهؤلاء الشباب لتلك النفوس الرقيقة أو المضطرمة المشبوبة. و أشد استئثار من الحب؟ ومرد ذلك أيضا إلى أن يقدموا أنفسهم إلى هذا الحد، و أن يحدثوا القارئ عن أنفسهم، و أن يخبروه عن حياتهم العاطفية و مغامرات قلبهم[1].

---

[1] **عثمان نغم عاصم**، الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية، **ص** 59-62

و هل كان بوسعهم أن يرووا عن أنفسهم حكاية أشد خصوصية و إمتاعا و تأثيرا من حكاية حبهم؟ نجد الكاتب الرومانسي يخبر القارئ باللقاءات، و باعترافات الحب و بمشاهد الغرام،في ملابساتها و إطارها. و أن مثالية العديد من الرومانسيين كانت تكسو الحب نبلا و سموا، و ترى فيه شكلا من أشكال عبادة الله أو الطبيعة. و تجعل منه دينا،لقد كان لهذه العاطفة بسبب طابع القداسة هذا الحق بمكانة الصدارة في الأدب الرفيع.

لقد كان للمرأة في الأدب الرومانسي مكانة كبيرة، لم تظفر بمثله من قبل،فقد أدى السمو بالعواطف و الصدق فيها إلى نوع من تقديس المرأة و الإشادة بها و الخضوع لسلطانها و لم يكن خضوع ضعف بل كان مصدر صدق العاطفة، و أحست المرأة بمكانتها في ذلك الأدب و أجمع معظم الرومانسيين على أن المرأة ملك هبط من السماء ليطهر قلوبنا. و هناك قلة من الرومانسيين يرون في المرأة رأيا مناقضا،فهي عندهم شيطان يضل الناس و يغويهم. و ما كانت ثورة الرومانسيين على مجتمعاتهم إلا رغبة في خلق مجتمع مثالي ينشدونه دائما. و هذا المجتمع يقوم على دعائم منها: التقدم العلمي، و منها المساواة، ثم الحب و هو أساس الإخاء المنشود و هو أساس مجتمع صالح لا بغض فيه.

4– الرومانسية و الطبيعة:

إن الإحساس بالطبيعة أبسط أشكال الحاجة إلى الفرار التي تستحوذ على الرومانسيين. و يتجلى- أولا- بالبحث عن الوحدة التي يتفتح فيها كيانهم بحرية،من غيران يكبحه أو يفسده الاتصال بالناس، الوحدة البعيدة عن المدن، و قد دفع حب الوحدة الرومانسيين إلى الحقول و الغابات و الجبال أو البحر، لا لوصف جمالها كما كان يفعل من سبقهم من الأدباء، بمقدار ما هو لتغذية أحلام يقظتهم فيها، و لهدهدة كآبتهم، فتغدو الطبيعة بالنسبة إليهم – صديق و نجية، يسبغون عليها العواطف التي- تتفق و عواطفهم.

و يعد"جان جاك روسو" رائد الرومانسيين جميعا في هذا الشعور،فهو عاشق الطبيعة و داعيتها الأول، و يقول:**"شاتوبريانChateaubriand"**:(في زمن الجليد تصير المواصلات بين سكان الريف أقل يسرا فينقطع مابين سكانه،و يشعر المرء بأنه أحسن حالا و هو بمعزل عن الناس)[1].

---

[1] **عثمان نغم عاصم**، الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية، ص 62-70.

و لذا كثر في أدبهم التحدث عن الحياة الفطرية،و ساكني الأدغال، و عن الشعوب البدائية التي تنعم بالسعادة في حياتها البسيطة الساذجة.

و يألف الرومانسي مناظر الطبيعة الوحشية و ينشد فيها و حدها العزاء،و خاصة إذا ظفر بين مناظر الطبيعة بحبيب يصرفه عن الجنس الإنساني كله، و يقول "بيرون": (لو أمكن أن تكون الصحراء موطن إقامتي،مع نفس واحدة تسيطر بجمالها علي،لو أمكنني أن أنسى كل النسيان الجنس الإنساني. و دون أن أبغض أحدا لا أحب إلا هي. و حب الطبيعة هو الذي جعل بعض الرومانسيين يشيدون بالريف و أهله و يختارون أبطالهم. و حب الطبيعة و الهيام عند **"وردزورث""Wordsworth"** – كما عند الرومانسيين عامة – ينبوع الشعر الحق،و ملاحظته الدقيقة للحياة الريفية،نفد أدبه من صميم هذه الحياة،فصور مناظرها المختلفة بقوة و صدق،يقول:(يثب قلبي حين أنظر إلى قوس قزح في الجو،هكذا كان شأني في بدء حياتي طفلا، و هكذا شأني الآن رجلا، و لو أستطيع أن أبقى كذلك شيخا و إلا فدعني أموت).و يحب الرومانسيون الليل، لأنه ملئ – بالأسرار التي لا تدرك، و لأنه متار الأحلام، و لأنهم يعتقدون أن الحقائق تتجلى في ظلمات الأحلام. فالليل إلى النهاية و هذه ناحية صوفية في أدب الرومانسيين و ليس الليل الرومانسي صورة الموت،خاليا من كل إمارات الحياة، و لكنه ملئ بالأسرار، ففيه تطوف الأرواح حول قبورها، و فيه تتحرك أشباح الخيال.

كما يفضل الرومانسيون مناظر العواصف،و أمواج البحر، و الأديرة الصامتة و القصور العتيقة المهجورة، و يبكون على الآثار لأثارتها ذكرى الأحياء أو القدامى من العظماء. و قد عمد كثير من الرومانسيين إلى التغني بأمجاد أبائهم و إحياء مآثرهم،كان في مقدمة هذا الاتجاه "ولتر سكوت" في انجلترا،و "شاتوبريان" و "فكتور هوغو" و "ميشليه" في فرنسا، و يتخيلون في المخلوقات أرواحا تحس مثلهم، فتحب و تكره و تحلم، فيشركونها مشاعرهم،لذلك نجدهم يخاطبون الأشجار و النجوم و الورود و الصخور و أمواج البحار، و ذلك لرهافة إحساسهم و رقة مشاعرهم، و يختلي الرومانسيون في الطبيعة بذاتهم ليحلموا و يستسلموا لمشاعرهم كما كان يفعل "روسو"، و "فيكتور هوغو" ينشد عزاءه في الطبيعة بعد فقدان إبنته، و سجل خواطره في قصيدة خالدة[1].

[1] **عثمان نغم عاصم**، الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية، **ص** 70-72.

و منهم من يضفي على المناظر الطبيعية مظاهر إلهية،فيتحول حبه إلى عبادة، إذ يزعم أنه يرى الله في الأشجار و الرياح و الصخور و الأزهار و البسمات و الأمواج، و ينتهي من ذلك إلى أن الطبيعة هي الصورة المحسوسة للإلوهية و من هؤلاء من يزعمون أن الله في الطبيعة، أو هو الطبيعة و منهم "بيرون" و"شيلي".

5 – الرومانسية و الأحلام:

إتسع المجال للأحلام عند الرومانسيين، حتى صارت مشغلة لعقولهم، و جانبا مهما من جوانب شخصياتهم، و موضوعا خصبا لفلسفتهم إذ ينزع الحلم- كما يرى "بول فان تيغم" – إلى أن يختلط بالحياة، و أن الأديب ليغوص في هذه الحياة الداخلية الثانية التي هي الحلم، و هي حياة مليئة بالإمكانات التي لا حدود لها، لا يظهر الواقع إلا في موضع ناء ضبابي، و يغدو الشعر تحديدا هو المفتاح الذهبي الذي يفتح قصر الأحلام . و لكن الرومانسيين الألمان – فلاسفة و شعراء – فضل السبق في هذا الميدان و التعمق فيه، ثم تبعهم الرومانسيون الفرنسيون . و يعد الكاتب "هردر" – من أوائل من اعتدوا بالأحلام من وجهة نظر رومانسية، فقد اعترف بأن الأحلام قوة عجيبة فيها تتكشف ثنائية أنفسنا، لأنها حوار نقوم به و نمثل فيه(المتكلم و السامع معا و الأحلام مملكة مجهولة المعالم و لكن منشأها فينا يعد "جان بول ريشتر" في طليعة الرومانسيين الذين اهتموا في أدبهم بالأحلام و ما أحلامه العددية في قصصه إلا تجارب نفسية تدل على إحساسه المشبوب بالنعيم المفقود في هذا العالم و على – ضيقه بالعالم و الناس،و نشدانه المعرفة الكاملة لنفسه. و يعد الألماني "هوفمان" من أبرز الذين صوروا عالم الأسرار و الأحلام، فقد ترجم في أدبه الجانب العجيب من النفس الإنسانية، كما اهتم الكاتب الفرنسي "جيراردي نرفال" بالأحلام،فقد أمه في سن مبكرة، و لذلك طغي عليه الحنين إلى العالم الآخر، و قد توالت الأحداث في حياته فنمت فيه الشعور بعالم الغيب، حتى كانت حياته مأساة تدور حوادثها في حدود مابين الحلم و الحقيقة، و الحلم هو الوسيلة إلى الانتقال من أحد العالمين إلى الآخر، كان هم الرومانسيين في فلسفتهم و دراساتهم للأحلام[1].

---

[1] **عثمان نغم عاصم**، الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية، **ص** 72-75.

كشف جوانب الشخصية و صلة هذه الحياة بعالم الغيب و ظلت شخصياتهم هي شغلهم الشاغل في ذلك كله، و أن بيان هذه الشخصية لا يلبث أن يكتشف عن أفكار و آراء فلسفية في صلتهم بالطبيعة[1].

6 – الرومانسية و الخيال:جامعة مستغانم - الجزائر

عندما أعلن الرومانسيون أن الفن فيض تلقائي للمشاعر كانوا يعنون بهذا تدمير النظريات الكلاسيكية القديمة و الجديدة بأنماطها المستقرة، و التحول إلى الإنسان الذي حررته الثورة الفرنسية. و قد بدا هذا بوضوح في حديث **"وردزورث""Wordsworth"** في مقدمة كتابه (أشعار غنائية) عندما كتب موضحا هذا الاتجاه الجديد – فالخيال الخصب عند الرومانسي هو الذي يوحي إليه بترجمة المظاهر الطبيعية في صورة أشياء منظومة و ترانيم حية، و فعل الخيال إنما يظهر حقيقة في عملية الاختيار بين الأشياء التي يتجاوب معها و الأحداث التي ينفعل لها و المظاهر التي يتأثر بها، ثم جاء "كوليردج""**Coleridge**" فأفاض القول في الخيال و أثره في تكوين الصورة الشعرية،و تحقيقه من ثم للوحدة العضوية في العمل الفني و التي أحله– و معه سائر الرومانسيين– محل الوحدة الميكانيكية، و هكذا ارتبط الخيال ارتباطا وثيقا بالنظرية الرومانسية ، و إن كان شيئا متميزا عنهما، أنه امتزاج لكل الاهتمامات المختلفة عند النقطة التي يحدث فيها التماس بين العقل و العالم، عندها تستحيل الأشياء القديمة المألوفة إلى أشياء جديدة في التجربة الإبداعية، و هكذا فحين(يتم خلق جديد فلا بد للبعيد و القريب من أن يصبحا أكثر الأشياء طبيعية و حتمية في العالم، أن هناك قدرا من المخاطرة) و الذي لاشك فيه،هو أن الحديث عن الخيال حديث قديم، أشار إليه "أرسطو" في كتابه (كتاب النفس) لكنه لم يصبح نظرية جمالية إلا من خلال الرومانسيين الذين اهتموا بالعالم الداخلي، فركزوا إهتمامهم في ذواتهم و أرواحهم، و وقفوا طويلا إزاء مشاعرهم، فأصبح عندهم كشفا للحقيقة الإنسانية يتم بتحرير الإنسان من الخارج أما وسيلة تحقيق هذا المفهوم فهو الخيال الذي أصبح الوسيلة الأساسية لإدراك الحقائق،فمن طريق الخيال يتمكن الرومانسي من خلق كل عضوي حي[2].

---

[1]- **المرجع السابق**، الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية ، **ص** 69-70.

[2] الورقي سعيد، **في الأدب و النقد الأدبي**، دار المعرفة الجامعية ص21-22.

و يرى الرومانسيون أن الخيال يكشف نوعا من الحقيقة، فعندما ينشط الخيال يرى أشياء يعمى العقل العادي عن رؤيتها و أنه يتصل إتصالا وثيقا بالبصيرة أو الشعور أو الحدس، أن الخيال و البصيرة لا ينفصلان في الواقع و إنما يكونان موهبة واحدة في كل الأغراض العملية و هذا هو الغرض الذي كتب الشعراء الرومانسيون على أساسه و هو يعني أنه عندما تكون ملكاتهم الإبداعية متضامنة فإن حاستهم تلهمهم سر الأشياء فيسيرون غورها ببصيرة خالصة[1].

[1] المرجع السابق، في الأدب و النقد الأدبي، ص23.

المبحث الثاني:

نشأة الرومانسية العربية و تطورها:

لقد ظهرت الحركة الرومانسية في الأدب العربي من دون أن تساندها أي فلسفة و من دون أن تفجرها أي ثورة على مستوى الثورة الفرنسية، فقد كانت تفتقر إلى أساس فكري نابع من محيطها يشبه الفكر, والآراء التي قامت عليها الحركة الرومانسية الأوربية[1].

و قد تعرض النقد الأدبي للحديث عن هذه الظاهرة و في مؤلفات احمد زكي أبي شادي و صلاح لبكي و الدكتور محمد مندور و الدكتور إحسان عباس و الدكتور عيسى الناعوري و الدكتور محمد غنيمي هلال، و كثيرين غيرهم إشارات واضحة أو أبحاث معمقة في ظاهرة الإبداع الرومانسي في الشعر العربي الحديث[2]. و ما من شك في أنها لم تظهر بشكل مفاجئ فتمت مؤهبات ساعدت على ظهور هذا المذهب .

العوامل و المؤهبات التي ساعدت على ظهور المذهب الرومانسي العربي:

ليست هناك سنة محددة تماما ولدت فيها المدرسة الرومانسية العربية ولكن هناك مرحلة معينة ظهرت فيها حركات أدبية و عوامل و ظروف متنوعة أدت إلى تألق هذا المذهب بعد تطور و تفاعل بطيئين خفيين شأنه شأن المخلوق الذي لا تراه الحياة إلا بعد تاريخ من معاناته و من هذه العوامل.

1- **تأثيرات الغرب:** في منتصف القرن الماضي قوي الاتصال بالثقافة الغربية إذ أخذت البعثات تقصد أوربا للتزود بالعلوم العصرية الجديدة فتأثرت بها، و عادت تحمل هذا التأثير، و في هذا الوقت وصل إلى المثقفين ما توصل إليه الغرب من أسرار الصياغة الشعرية و وسائل التصوير و الإيماء. و كثرت الترجمات و المطالعات المباشرة في كتب الغربيين، و تأثر بها الأدباء و النقاد وهدتهم ثقافتهم الواسعة التي أخذوها عن الغرب إلا أن هناك مواضيع في النفس الإنسانية، و أسرار في الطبيعة، كما أن هناك من مواضيع ومثيرات الشجون و ألام الآمال.ما لم يقع عليه قدماء العرب، بينما نقد إليه الغربيون. و بهذا أثرت هذه التيارات الفكرية و الشعورية في تطور الشعر العربي الحديث[3].

---

[1] الجيوسي سلمى الخضراء، ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة, الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث,ط1.
[2] نشاوي نسيب، المدارس الأدبية في الشعر العربي، ص165.
[3] المرجع نفسه، ص167-168.

2 – التجمعات الأدبية المجددة:

و من هذه المؤهبات و العوامل ما نجده من دعوات تجديدية منظمة في تجمعات أدبية لها أسس و أركان محددة من ذلك.

ا- حلقة اسكندر العازار: جامعة مستغانم - الجزائر

و يذكر النقاد الشيخ اسكندر العازار 1855-1916 و حلقته الأدبية فقد كان مطلق الرعيل الأول في المذهب الرومانسي، إذ مثل مع حلقته فئة المخضرمين الذين تأثر شعرهم بالرومانسية الغربية. و ذلك عندما كان الأخطل الصغير في مرحلته الأولى مع الفياضين مع شبلي الملاط 1878-[1] 1921.

و عندما كان خليل مطران يفتش عن طريق الرومانسية و في حلقة اسكندر العازار تطالعنا أسماء سليمان البستاني و شبلي الملاط و وديع عقل و أمين تقب الدين و الياس فياض و كان العازار شيخ حلقة الأدب هذه ، يجتمع بهم في ندوات خاصة على مجلس و يقرأ عليهم شعرا فرنسيا رومانسيا و يكشف لهم أفاقا جديدة من الشعر الغربي الأجنبي و يعهد إليهم نظمها في الشعر العربي.

ب- مدرسة الديوان و الكنز الذهبي:

و سقط في أيدي العقاد و المازيني مجموعة المختارات الشهيرة التي جمعها "بالجزيف" أستاذ الشعر بجامع أكسفورد بإسم "الكنز الذهبي" و هي مجموعة تضم خير ما كتبه الشعراء الانجليز من شعر غنائي وجداني،فنهل منها العقاد و المازيني. و في هذا الوقت ظهرت "مدرسة الديوان" و تبين أن المنهج الشعري الذي اختارته هذه المدرسة و دعت إليه هو المنهج الذي صدر عنه جامع "الكنز الذهبي" نفسه، و لاحظ النقاد أن كثيرا من المعاني الشعرية التي تخللت شعر هذه المدرسة كانت موجودة في هذه المجموعة.

و من أهداف الديوان هدم كل الأصنام الأدبية المعروفة في ذلك العصر و على رأسها أمير الشعراء أحمد شوقي، و لكن الخلاف الذي نشأ بين المازني و العقاد من جهة و عبد الرحمن شكري من جهة ثانية فك الجماعة و لم تعمر طويلا إذ سرعان ما تحول أصحابها إلى ميادين أخرى في القصة و المسرحية و المقال و الدراسة الأدبية العامة[2].

---

[1] **المرجع السابق**، المدارس الأدبية في الشعر العربي، ص 168.

[2] المرجع نفسه، ص169-170.

ج – الرابطة القلمية:

كانت الرابطة القلمية 1920-1931 أول مدرسة أدبية منظمة تنزع إلى تكوين جماعة ذات طابع خاص في التفكير و التعبير و كان قطب هذه الدائرة جبران خليل جبران و هو الطائر المحكري فيها و مثل فيها ميخائيل نعيمة دور الناقد،فكان لها كما كان سانت بوف من المدرسة الغربية،و لم يكن جبران الشاعر اللبناني الوحيد الذي أحدثت أثاره و مناحي تفكيره قشعريرة في الشعر الحديث إذ أن لأعضاء الرابطة القلمية الآخرين الفضل الجليل في تحرير الشعر من القيود التي فرضت عليه.

د- مدرسة أبولو 1932-1934 :

كانت مدرسة أبولو 1932 في مصر تعبيرا عن ملامح التطلع نحو الغرب و موازنة آدابه بآداب الشرق.انتظم فيها معظم الشعراء الرومانسيين الذين تبلور على أيديهم هذا المذهب. و بدا على محمود طه و أبو قاسم الشابي أكثر شعراء هذه الجماعة دويا في الأقطار العربية و إن كان أبو شادي أول من بث فيها الروح، و جمع إليها شعراء من مختلف الاتجاهات[1]. و كان شعراء هذه المدرسة يمتزجون بالطبيعة امتزاج ألفة و محبة و صدقة. و تحدثوا عن أمالهم من خلالها و لم يكن و ضعهم لها تقريبا بل تفسيرا ذاتيا نابعا من شعورهم و حبهم[2].

هـ ـ عصبة العشرة:

في لبنان تأسست"عصبة العشرة"التي كان قطبها ميشال أبو شهلا و أحد دعائمها الشاعر إلياس أبو شبكة، و أما روحها فهو الشيخ خليل تقي الدين،و أما لولبها ففؤاد حبيش، و كانوا أربعة أما الستة الباقون فقد ظلوا خارج الجماعة، استمرت ثلاث سنوات فشنت حربها على القديم و على شيوخ الأدب و كل أديب جاوز الأربعين و قال عنها أبو شبكة:" إن عصبة العشرة صممت على أن تخدم الأدب العربي عن طريق النقد و غير النقد"[3].

و كانوا يعقدون اجتماعاتهم وندواتهم في إدارة جريدة "المعرض" التي ترأس تحريرها الشيخ فؤاد حبيش[4].

[1] النشاوي نسيب، المدارس الأدبية في الشعر العربي ص 120.
[2] فشوان محمد سعد، مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث، دار المعارف القاهرة، ص256.
[3] المرجع السابق، المدارس الأدبية في الشعر العربي، ص 121.
[4] المرجع نفسه، ص124

و- جماعة الثالوث الفرنسي:

في تونس تألفت جماعة "الثالوث الرومنتيسم من الشابي و رفيقيه محمد الشروش و محمد الحليوي، و اتخذت من الرومانسية مذهبا و اتجاها و جعلتها رابطة فكرية تجمع شملها،ثم راحت تهاجم جماعة الإطار الشعرية في تونس و التي يمثلها الشعراء عبد الرزاق كرباكة و محمد بورقيبة و الطاهر القصار لأخذهم بشعر المناسبات و التعازي و الحفلات[1].

و قد تألق أبو قاسم الشابي في الجماعة حيث رأى نفسه في مذهب الحياة، و لكن قسوة المجتمع حسب اعتقاده حطمت قيتارته فانطلق إلى ينشر رسالته و بين الطبيعة و الفن وصل الشعر إلى قمة التألق الرومانسي وجد ذاته في الطبيعة فمال إليها.

فطغت العاطفة على العقل و ثار على الواقع بنى لنفسه في غابة مجدا فلسفيا أملاه على الطيور و الغصون و حكى قصته مع الزمن. انه البني المجهول فليقضي بقية حياته في الغاب بعدما لقى الكفران و الجحود:

سوف أتلو على الطيور أناشيد   ي و أفضي لها بأشواق نفسي[2]

و نجد عنده ضما شديد إلى الطبيعة فهو يحن إليها حنين العابد إلى ربه و الطفل إلى أمه، و يتجلى هذا الحنين في قصيدته الشهير "أراد الحياة"

ضمأت إلى النور فوق الغصون   ضمــأت إلــى الظل تحـت
ضمــأت إلى النبع بين المروج   يغنــي و يـرقـص فوق الزهر
ضمــأت إلى الكون أين الوجود   و أنـــا أرى العالـم المنتظـر[3]

---

[1] النشاوي نسيب، المدارس الأدبية في الشعر العربي، ص 121.
[2] المرجع نفسه، ص 283.
[3] المرجع نفسه، ص 285.

خصائص الشعر المهجري :

الأدب المهجري أدب واقعي في أكثره، يتجاوب مع الأدب و الحضارة و مع ذلك فالرومانسية و الرمزية و السريالية و الكلاسيكية نصيب فيه. و قد عرف هذا الأدب قيمة الوقت، فتجنب الثرثرة و البهرجة و تعلق بالأسباب الصريح، و هو في هذا يجاري الوسط الذي نشأ فيه، و هو الوسط الأمريكي. كما للأدب المهجري خصائص تميز بها نذكر منها:

1 – التنويع في القافية و الروي و توزيع التفاعيل، كما أن هناك استعمالا جديدا للأشطار و الأبيات.

2 – المحافظة على موسيقى البيت و القصيدة و إن كان هناك تنويع في القوافي و الأشطار والأبيات لم يخرجا فيها عن الأنماط الموسيقية العربية و بخاصة نظام الموشحات.

3 – فضل المهجريون استعمال البحور القصيرة و البحور المشطورة.

4 – الألفاظ كانت سهلة عادية موحية و الصور قوية.

5 – التحرر من قيود القديم و إطلاق حرية الشاعر في الإبداع.

6 – أصبحت القصيدة ذات وحدتين عضوية و موضوعية.

7 – الالتزام بعناصر الشعر الرئيسية و هي العاطفة و الخيال و الوجدان و العقل و الإيقاع الشعري.

8 – تصويرهم الحياة و بخاصة من الداخل لأن الانعكاس الداخلي للأشياء هو الأساس في الإبداع.

9 – للشعر أسلوبه و للشاعر أن يختار هذا الأسلوب الذي يدل على شخصيته.

10 – حسبان الوزن ضرورة أما القافية فليست من ضروريات الشعر .

11 – غلبة الحنين و الشوق إلى أرض الوطن، و ظهر هذا في شعر المهجريين و نثرهم[1].

[1] الجيوسي سلمى خضراء, الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، ص579.

12 – تغلب نزعة التأمل على أشعار هؤلاء، و التأمل هنا نوع من الاندماج في الطبيعة و الإنسانية و بكل الخلائق يقول: اليا أبو ماضي في قصيدته "المساء" السحب تركض في الفضاء الرحب،ركض الخائفين. و الشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين.

13 – حديث المهجريين عن الألم و الحزن و الدهر القاسي و وطأة الحياة و سرعة التأثر بالأزمات، نلمح ذلك في شعر نعيمة و جبران و أبو ماضي،يقول جبران:

و ما السعادة في الدنيا سوى شبح   يوحى فان صار جسما مله البشـر

كأنهر يركض نحو السهل مكتدح   حتى إذا جـاءه يبطـئ و يعتكـر.

السعادة عند جبران أمر استثنائي أما الحزن أو الألم هو أساسي في الحياة.

14 – يلف الغموض في أحيان كثيرة شعر المهجريين فتغدو أقوالهم نوعا من الطلاسم و الأسئلة و الرموز.

15 – عكس المهجريون المدينة الغربية و قاموا بالكثير من المقارنات بين حياة الغنى و الفقر و سواها.

16 – طرحهم لمشكلة القومية العربية و تغنوا بها .

17 – الثورة على العادات البالية و التقاليد التي تقتحم الإنسان في حمأة الخطأ من جراء بعض الممارسات الظالمة،نتيجة التسلط السياسي أو الاجتماعي،و جبران يخلق في أدبه حالات ترتدي ثوب الثورة. حالات تهدم البالي ليحل الجديد محله،يقول: جبران عن ظلم ذوي الغنى للفقراء .

فسارق الزهر مذموم و محتقر   و سـارق الـحقـل يدعى الباسل

و قـــاتـــل الجسم مقتول بفعلته   و قاتل الروح لا تدري به البشر

18 – استعمل المهجريون الشعر المنثور،النثر الشعري، و كان أول من استعمله "أمين الريحاني" و لكن جبران اتخذه أسلوبا دائما لمجمل كتاباته.. و هو لا يخلو من خطابية و "الأجنحة المنكسرة" و مصوغة بذلك الأسلوب النثري الشعري[1].

---

[1] المرجع السابق، الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، ص579-580.

هذه بعض الميزات العامة التي تميز بها الأدب المهجري بصفة عامة،يبقى أن نشير إلى أن المهجريين في جنوبي أمريكا شكلوا هم بدورهم جماعة سميت "العصبة الأندلسية " كان ذلك عام 1932 حين قام مجموعة من الشعراء و على رأسهم رشيد سليم الخوري المعروف بالقروي بالإضافة إلى إلياس [illegible] و سلمى صايغ .

و على العموم فإن الشعر المهجري كان رحلة كبيرة في عالم الإنسان، و جسرا للوجدان و الحب و الوطنية و القومية و التجديد في دنيا اللغة العربية[1] .

[1] المرجع السابق، الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، ص 581.

الفصل الثاني

المبحث الأول:

نشأة الرابطة القلمية:

من أهم الجمعيات التي أسسها الكتاب و الشعراء العرب في الأزمنة الحديثة كانت

جمعية "الرابطة القلمية" والتي تكونت في نيويورك عام 1928 و قد شكلتها جماعة صغيرة مختارة من الأدباء الطليعة الذين على الرغم من اختلافهم في المستوى الفني و الإنتاج، أما بدايتها الأولى لم تكن معروفة في الأول فكانت عبارة عن كتابات شعرية و نثرية تظهر في الجرائد بنيويورك و لكن سرعان ما اشتهرت و ذاعت و كان أول من شهر من هؤلاء: أمين الريحاني و جبران خليل جبران و ما لبث هذان الأديبان أن عرفا في المجتمع السوري الأمريكي بآرائهما المتحدة و أفكارهما الجريئة و كتابتهما القيمة،و أخذ الكل يقبل على قراءة ما ينتجان و ينشران من شعر منظوم و منثور و نثر شعري جميل، و لكن أمين الريحاني ما لبث أن سافر إلى لبنان، موطنه الأول، و من هنا قام بسلسلة من الرحلات في البلدان العربية و الأوربية، و كان يعود من الفينة و الفينة إلى أمريكا فينثر عليهم من مواعظه و أفكاره الشئ الوفير. أما جبران فظل يكتب بالإضافة إلى عمله الفني في الرسم و التصوير و لعل أول جريدة نشرت له و عرفت به في تلك البلاد هي جريدة "المهاجر" لمؤسسها أمين الغريب فهو الذي نشر له أول مقالة في ذلك الحين و لقد تجلى عمل جبران في بعث الأدب العربي و بث روح جديدة فيه أبعد ما تكون الخمول الذي تعود الناس أن سلكوا طريقه، أما ميخائيل نعيمة فإنه كان حتى ذلك الوقت ما يزال يدرس في جامعة واشنطون بعيدا عن ذلك الميدان الأدبي الذي نتحدث عنه، و لقد كان نعيمة يعرف نسيبا من قبل إذا كانا زميلين في مدرسة المعلمين الروسية بمدينة الناصرة بفلسطين قبل هجرتهما إلى أمريكا. و في نيويورك تعرف نعيمة بجبران و لكن الفنون لم تعش طويلا لتحقيق لهؤلاء أمالهم و لما جاءت الحرب قضت على الصحف و المجلات العربية الظاهرة، أن إدارة الفنون كانت مجتمعا لهؤلاء الإخوان فاختفت الفنون من الوجود بين حسرات محبيها و مريديها[1].

[1] سراج نادرة جميل، دراسات في شعر المهجر، شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف بمصر 1964، ص79-82.

تأسيس جمعية الرابطة القلمية:

بعد "الفنون" مباشرة عقد الأدباء و الشعراء اجتماعا آخر و ذلك من أجل الأدب و كان أحد الأدباء هو عبد المسيح حداد قد أنشأ جريدة عام 1912 و أطلق عليها "السائح" و جعلها نصف أسبوعية تحوي إلى جانب أخبارها السياسية و الاجتماعية بعض الكتابات الأدبية،فنشروا فيها أفكارهم و آراءهم و أصبحت إدارة "السائح" ملجأ للأدباء بدل مجتمع الفنون يلتقون فيها مرة في الأسبوع على الأقل،و هكذا ألفت منهم عصبة قوية نزاعة إلى التجديد ميالة إلى التحرر و الانطلاق . و لما أحس هؤلاء الأدباء بوحدة الغرض الذي من أجله يعملون. و أهمية الطريق التي بدأوا يسلكون اجتمعوا في بيت عبد المسيح حداد عام 1920 و دعوا معهم إلى الاجتماع مجموعة من الأدباء و الأصدقاء و قرروا أنه لا بد من رابطة تضم قواهم و توحد مساعهم في سبيل اللغة العربية و آدابها و انتشاله من وهدة الخمول و التقليد إلى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الأمة. و في الثامن و العشرين من أفريل عام 1920 أصبحت " الرابطة القلمية" حقيقة واقعية. ففي اجتماع لهم عند جبران قرر المجتمعون إخراج الجمعية إلى حيث الوجود و سميت بالرابطة القلمية و الذين حضروا هذا الاجتماع هم: جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، عبد المسيح حداد، ندرة حداد، إلياس عطا الله، وليم كاتسفليس، نسيب عريضة، رشيد أيوب و هؤلاء جميعا اقروا شروط تأسيس الرابطة القلمية و هي كما يلي:

1 - أن تدعى الجمعية "الرابطة القلمية " بالانجليزية (arrabitah)

2 - أن يكون لها موظفين و هم: الرئيس و يدعى "العميد"، فكاتم السر و يدعى "المستشار" فأمين الصندوق و يدعى "الخازن".

3 - أن يكون أعضاؤها ثلاث طبقات: عاملين و يدعو "عمالا" و مناصرين و يدعون "أنصارا"

4 - أن تهتم الرابطة بنشر مؤلفات عمالها و مؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين، و بترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية[1].

[1] ربيع محمد أحمد، في تاريخ الأدب الحديث، ط2، 2006، ص 58-59.

5 - أن تعطي الرابطة جوائز مالية في الشعر و النثر و الترجمة تشجيعا للأدباء ثم انتخب الحاضرون جبران عميدا بإجماع الأصوات، و ميخائيل نعيمة مستشارا و وليم كاتسفليس أمينا للصندوق، وانظم إلى أعضاء "عمال" الرابطة فيما بعد الشاعر إيليا أبو ماضي و الكاتب وديع بحوط، و وكلوا إلى نعيمة أمر تنظيم قانون الرابطة، فنظمه و وضع لها مقدمة شرح فيها روح الرابطة و أهدافها.

و رسم جبران للرابطة شعارا جميلا يمثل دائرة في وسطها كتاب مفتوح و على صفيحتيه خطت هذه العبارة "الله" كنور تحت العرش مفاتيحها السنة الشعراء و من فوق الكتاب قد أطلت شمس أشعتها نصف الدائرة الأعلى، و عند أسفل الكتاب سراج شطره الأيمن محبرة قد انغمس فيها قلم فتحول حبرها إلى لسان من نور خارج من طرف السراج الأيسر، و من تحت الدائرة اسم "الرابطة القلمية" مخطوط بأحرف مستقيمة الزوايا تشبه بعض أنواع الخطوط الكوفية و من تحته اسم الرابطة بالانجليزية.

فعنوانها عنوان جبران خليل جبران[1].

و على أثر تنظيم الرابطة أخذت كتابات أعضاءها تظهر على صفحات جريدة "السائح" و تحت عنوان كل مقال اسم صاحبها متبعا بهذه الكلمات "العامل في الرابطة القلمية" و هو اللقب الذي أطلقوه على كل فرد عامل في الرابطة بمعنى العمل المجدي المنظم الذي يهدف إلى التحسين و التقدم و لقد أصدرت جريدة "السائح" عددا أطلقت عليه "السائح الممتاز".و لقد تكرم الأستاذ عبد المسيح حداد – صاحب السائح- فأهدى إلى عددين من السائح الممتاز احدهما لعام 1925 و الثاني 1928 فوجدت في كل منهما سفرا نفسيا و لقد قال أعجبني في سائح الممتاز ذلك التبويب الأنيق و التنسيق الدقيق بالإضافة إلى غزارة المادة و حسن الأداء و لقد قال الدكتور "يعقوب صدوق" عن السائح جاءنا السائح ممتاز في كل شيء جوهرا و مادة، مقالات فلسفية و قصائد حكمية و فكاهات أدبية و انتقادا يفصل الحق في الباطل و صورا لا تفصلها الصور الشمسية، و طبعا جميل على ورق صقيل...الخ[2].

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر، شعراء الرابطة القلمية، ص 84.
[2] المرجع نفسه، ص 86-87.

صدور مجلة الرابطة القلمية:

لقد صدرت مجلة الرابطة القلمية عام 1921 واشترك في تحريرها جميع عمال الرابطة و على رأسهم عميدها و فنانها جبران خليل جبران، فيلسوفها و ناقدها و مستشارها ميخائيل نعيمة و بقية كتابها و شعرائها فجاءت كتابا ضخما يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير، مليئا بالموضوعات الأدبية و اللغوية و الاجتماعية و الفلسفية و القصائد الشعرية التي تعالج شتى الموضوعات أيضا و من مميزات هذه الروح الجديدة التي ظهرت في الأدب المهجري و على أيدي أعضاء الرابطة جاءت مسطرة في كل مقال أو قصائد ضمن هذه المجموعة[1].

و لقد صاغ ميخائيل نعيمة و هو مستشار الرابطة القلمية مقدمة و نظم قانونها فقال: "ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبا و لا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأدب فالأدب الذي نعتبره هو الأدب الذي خصى برقه الحس و دقة الفكر و بعد النظر في تموجات الحياة و تقلباتها، و بمقدرة البيان عما تحدثه في نفسه من التأثير.

و أن هذه الروح الجديدة التي ترمي إلى الخروج بأدبائنا من دور الجمود و التقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب و المعاني لحرية، فهي أمل اليوم و ركن الغد. كما أن الروح التي تحاول بكل قواها حصر الآداب و اللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء في المعنى و المبنى هي في عرفنا سوس ينخر جسم آدابنا و لغتنا،و أن لم تقاوم فستؤدي حتما إلى حيث لا نهوض و لا تجدد[2] بيد أننا إذا ما عملنا على تنشيط الروح الأدبية الجديدة لا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع الأقدمين، فبينهم من غطا حل الشعراء و المفكرين من سيبقى آثارهم مصدر الهام للكثيرين غدا و بعد غد. إلا إننا سنرى في تقليدهم سوى موت لأدبنا، لذلك فالمحافظة على كياننا الأدبي تضطرنا للانصراف عنهم إلى حاجات يومنا و مطالب غدنا،و حاجات يومنا ليست كحاجات أمسنا[3].

---

[1] سراج نادرة جميل، دراسات في شعر المهجر، شعراء الرابطة القلمية، ص 88.
[2] الأيوبي ياسين، مذاهب الأدب: الكلاسيكية، الرومانطقية، الواقعية، دار العلم للملايين، ص67.
[3] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر، شعراء الرابطة القلمية، ص89.

و الأدب عند شعراء الرابطة القلمية هو الذي يعبر عن الحياة التي نحياها لا تلك التي عاشها أجدادنا و أجداد أجدادنا، و كل ما في الحياة من أسرار و كائنات و مخلوقات ما وجدت إلا من أجل الإنسان الذي يحيا هذه الحياة و يتنفس الهواء الذي يملأ الكون حوله و عنده "إن سلطان الأدب ليس إلا في انه يجول في أغوار النفس باحثا عن مسالكها مستطلعا آثارها،مستفسرا أسرارها.و ما شرف الأديب إلا انه أبدا يشاطر العالم اكتشافاته في عوالم نفسه "و الأدب عند عمال الرابطة " ليس إلا رسولا بين الكاتب و نفس سواه، و الأديب الذي يستحق أن يدعي أديبا هو ما يزود رسوله من قلبه و لبه[1].

نهاية الرابطة القلمية:

انتشرت مبادئ الرابطة القلمية و شاعت كتابات عمالها في جميع البلاد العربية، والفضل في ذلك لعمالها أنفسهم الذين أبدو من التعاون فيما بينهم، ما جعل النجاح حليفهم في كل عمل قاموا به حتى غدت رابطتهم ذات قيمة أدبية و معنوية رفعت من شانهم بين مواطنيهم الأمريكيين الأذهان و العقول في العالم العربي نحو ذلك النور الذي انبثق من ارض كولومبس هاديا الشعراء العرب نحو طريق واضح ملموس.

و هؤلاء الأصدقاء و الزملاء كانت تربطهم أكثر من رابطة و تقوم بينهم أكثر من مودة، و قد قامت بين بعضهم رابطة النسب أو القرابة أحيانا،عدا رابطة الأخوة المتينة التي لا تنفصم، فكانوا مثال التعاون و المساعدة إذا ما نزلت بهم نازلة أو حلت بأحدهم مصيبة[2].

---

[1] سراج نادرة جميل، دراسات في شعر المهجر، شعراء الرابطة القلمية، ص 94.

[2] المرجع نفسه، ص 102-103.

و بعد أن التأم شمل الإخوان العاملين من الزمن سعدوا فيه بالمحبة و الألفة و اتحاد الأرواح و القلوب، و أنتجوا في خلاله ما يعد كنزا من كنوز الأدب العربي الحديث،مناهم الله بفقد عميدهم و رئيسهم جبران خليل جبران في أفريل عام 1931، و كان حزنهم عليه عظيما و خاصة على نفس صديقه الأعز ميخائيل نعيمة الذي لم يطق البقاء طويلا في العالم الجديد ،فعاد إلى وطنه الأصل إلى قريته الهادئة، و من هناك أخد يمد الأدب العربي بنفحات من أدبه و فلسفته و ذكرياته و تجاربه، و هناك أصدر ديوانه "همس الجفون"

كما أصدر عدد من الكتب النقدية و الفلسفية بالعربية و الانجليزية و لا شك أنه يشعر براحة نفسية عظيمة بعد أن عاد إلى مسقط رأسه "بسكنت" و كان نادرا ما يغادرها إلى مدينة[1] بيروت القريبة منها لقضاء بعض الأعمال أو مقابلة الأصدقاء و المعجبين و الطلاب أحيانا و أما بقية الزمرة الأوفياء من أعضاء الرابطة، فقد حسروا أيضا غير جبران و نعيمة، الشاعر الرقيق رشيد أيوب الذي توفى في ديسمبر عام 1941 في - بروكلن - بنيويورك و تبعه بعده بسنوات زميله الصوفي - نسيب عريضة - الذي لبى نداء ربه في مارس عام 1946 في مدينة بروكلن أيضا .و أما الشاعر الحمصي الآخر: ندرة حداد فقد كان آخر من لبى نداء ربه إذ توفى فجأة في حفلة عرس ببيت أحد أصدقائه و ذلك في عام 1949، و كان اليا أبو ماضي حاضرا الحفل فرثاه، و هكذا انتثر العقد الذي اجتمعت حباته عددا من السنين،و تألفت أرواح أصحابه مدة من الزمن، و من المؤسف حقا أن هؤلاء الشعراء و الأدباء الراحلين لم يعوضوا و لم ينهض غيرهم من الشعراء في أمريكا الشمالية ليحل محلهم[2].

---

[1] المرجع السابق، في تاريخ الأدب العربي الحديث، ص60-63.

[2] المرجع نفسه، ص 63-64.

فالرابطة القلمية التي أنشأها جبران و نفخ فيها نعيمة من روحه و رواها بقية الشعراء و الكتاب بعطر أنفسهم، و التي عاشت زمنا في تاريخ الأدب العربي المجدد، قد انقرضت، و لعل مما يبعث العزاء في نفوس الأدباء العرب و محبي الأدب العربي أن رابطة أخرى قامت في المهجر بعد رابطة نيويورك و لكن في أمريكا الجنوبية هذه المرة و سمي "بالعصبة الأندلسية" و يذكر الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه "رائد الشعر الحديث" أنه قد وجدت في عصر متأخر رابطة أدبية باسم "رابطة منيرفا" كانت تعقد حلقاتها في جامعة كولومبيا بنيويورك و يرأسها الدكتور ـ احمد زكي أبو شادي ـ الشاعر المصري المهاجر إلى أمريكا ، و من جهة أخرى فإنه قد وجد في أمريكا الشمالية شعراء عرب من أصل سوري أو لبناني و لم يكونوا أعضاء في الرابطة القلمية و ربما يرجع السبب لعدم تواجدهم في نيويورك منهم الشاعر مسعود سماحة الذي طبع ديوانه في مطابع جريدة "السمير" التي يملكها صديقه الشاعر إليا أبو ماضي في نيويورك[1].

[1] سراج نادرة جميل، دراسات في شعر المهجر، شعراء الرابطة القلمية، ص 106

المبحث الثاني:

أعلام الرابطة القلمية:

1 – جبران خليل جبران:

هو الشاعر اللبناني و الرسام، و الفيلسوف و كاتب مقالات، و لد جبران في ديسمبر عام 1931 بقرية بشرى شمال لبنان و كتب له أن يعيش معظم حياته بعيدا عن بلده الأم بعد أن بلغ الثانية عشر من العمر هاجرت به أمه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، و بدأ تعليمه الرسمي فيها، و بعد فترة قصيرة لاحظ موهبته رائد الرسم و التصوير الفوتوغرافي "فريد هولاند داي" فبدأ يتطور تحت إشراف هذا الفنان. ثم انتقل إلى الكتابة بالعربية و الانجليزية فدمجت كتاباته بين ثقافتيه الشرقية و الغربية و جلب ذلك له شهرة كبيرة و دائمة[1].

و كان قد سافر إلى أمريكا في الثانية عشر من عمره و ذلك بعدما خلقت بالعائلة سبل العيش الهين، فاضطرت الأم و أولادها إلى الهجرة خارج الوطن شأنهم شأن المشارقة الذين اختاروا الهجرة و العيش في الذل و الهوان تحت حكم الأتراك و ذلك كان سنة 1895، و استقرت الأسرة بالحي الصيني و في بوسطن التحق جبران بالمدرسة الشعبية الأمريكية التي تعلم من خلالها إتقان اللغة الانجليزية و فن التصوير و من ثم انفتح ذهنه على مطالعة القصص و التعرف على المشاهير من الشخصيات و العلماء و بعد توفر العائلة على المال أرسلت جبران إلى لبنان لإتمام تعليمه بمعهد الحكمة حيث تعلم هناك اللغتين العربية و الفرنسية و اطلع على أمهات الأدب العربي القديم مثل الكتاب المقدس و كتاب رؤيا و من هنا بدأت تظهر علامات الفنان عليه، فشملت ثقافته ميدان الثقافة الفن و الأدب، وعاد إلى أمريكا بعد تلقيه خبر وفاة أخته سلطانة في أفريل 1902 بمرض السل[2].

---

[1] المرجع السابق، الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، ص130.

[2] حير جميل: جبران في عصره، و آثاره الأدبية و الفنية، ط1، 1923.

ثم توفي أخوه بنفس المرض في السنة الموالية و بعدها تموت أمه، و هذه الأحداث المتتالية العصيبة التي مرت على جبران تركت بصماتها في حياته و أثرت فيه تأثيرا بالغا و عميقا، فأقبل على الخمر إقبال الناقم على الحياة بكل ما فيها ثم انتقل بعد ذلك إلى عدة عواصم أوربية أولها باريس أين انصب إلى كلية الفنون الجميلة و أقام معرضه الأول و هناك تعرف على الفنان المشهور "أغوست " الذي قال عنه على العالم أن يتوقع كثيرا فهو وليام بليك القرن العشرين، و بعدما عاد واستقر في نيويورك أين كان يجتمع بعض الأدباء من أبناء وطنه أمثال:ميخائيل نعيمة و نسيب عريضة و غيرهم و كان ذلك سنة 1912 و في تلك الأثناء أتم الفصول الأخيرة لروايته الأجنحة المنكسرة و في عام 1921 أسس جبران و جماعة من الأدباء الرابطة القلمية ذات الطابع الثقافي و الأدبي فكان جبران عميدها و كان لها دور في الحياة الثقافية و الأدب في المشرق بصفة عامة. و كانت له علاقات مع أدباء المشرق أمثال "مي زيادة" و هذه العلاقات ساعدت على تبادل الأفكار و الآراء و اطلاعه على ما يدور من أحداث في وطنه .

و في هذه الفترة أصيب جبران بمرض خطير فأصبح في سباق مع الزمن فأصيب بمرض السل المتوارث و في 10 أفريل 1931 توفي جبران بمستشفى "....." في نيويورك و دفن مؤقتا في ضريح، و في 1931 نقلت أخته الآنسة مريانة جثمانه إلى لبنان بناء على وصيته حيث جرى مأتم و موكب جنائزي لم تشهد له مدينة "بشرى" مثيلا[1].

مؤلفاته:

لقد ترك جبران الكثير من المؤلفات التي كتبها باللغتين العربية و الانجليزية، فأما العربية فقد ابتدأ بمقالته الطويلة "الموسيقى" التي ظهرت عام 1905، و كتابه الثاني: المجموعة القصصية "عرائس المروج" و مجموعة قصصية أخرى "الأرواح المتمردة التي نشرها عام 1908و روايته الوحيدة التي ظهرت عام 1912 بعنوان "الأجنحة المنكسرة" و كتاب "دمعة و ابتسامة" و من مؤلفاته الشعرية "قصيدة المواكب" التي أصدرها عام 1918 في مجلة الفنون[2].

---

[1] جبران خليل جبران: الأرواح المتمردة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، وحدة الرغاية الجزائر 1993، ص09.
[2] الناعوري عيسى، أدب المهجر، دار المعارف بمصر، ط2، 1967، ص365.

و آخر مؤلفاته كتاب باللغة العربية و هو كتاب البدائع و الطرائف صدر في مصر سنة 1923 الذي يحوي مجموعة من المقالات و القصائد ضمت في كتاب واحد،و هذا زيادة على ديوان شعر يضم عدة قصائد و غير ذلك من الرسائل التي كتبها كما له كتاب بالانجليزية الذي أصدر سنة 1918 بعنوان "المجنون" و كتاب العواصف سنة 1920 و الذي كان الممهد لكتابه "التي" الذي صدر 1923 و هو من أنضج أفكاره، و الذي ترك أثرا عميقا في نفوس متلقيه الأمريكيون و كذا الانجليز و كان له صدى عظيم في العالم العربي، ثم نشر كتابا آخر "آلهة الأرض" سنة 1931 الذي يحتوي على حوار مصير الجنس البشري و قد أصدره قبل وفاته بأيام قليلة و هناك كتاب طبع بعد موته و هو "التائه" الذي صدر عام 1932.

أشهر أقواله:

- بين ما قيل و لم يقصد، و بين ما قصد و لم يقل يضيع الكثير من الحب.
- إن أعظم أخطائنا هو انتقالنا بأخطاء الآخرين.
- إننا محدودون ليس من خلال قدرتنا و إنما من خلال وجهات نظرنا[1].

2 - ميخائيل نعيمة: هو شاعر و مؤلف لبناني مشهور بكتاباته الروحية و روائي و فيلسوف و هو الرجل الثاني في الرابطة بعد جبران و أسندت إليه مهام المستشار بعد تأسيسها. ولد ميخائيل نعيمة في مدينة "بسكنت" في جبل حنين بلبنان عام 1889 حيث أنهى تعليمه الثانوي و درس في معهد المعلمين الروس في الناصرة، و المدرسة الاهونية في بولتاف الروسية لمدة خمس سنوات و أوكرانيا حيث اطلع على الأدب الروسي ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل على الجنسية الأمريكية و درس الحقوق و حصل على درجة من درجات القانون و الفنون الليبرالية في جامعة واشنطن.و بعد تخرجه من الجامعة انضم إلى الرابطة القلمية و بعد أن عاش لمدة 41 عاما في الولايات المتحدة عاد إلى مدينة بسكنت عاش بقية حياته فيها و زاد نشاطه الأدبي توفي ببيروت 28 فبراير 1988 اثر أصابته بالتهاب رئوي عن عمر يناهز 98 عام[2].

---

[1] المرجع السابق، أدب المهجر، ص365.

[2] سراج نادر جميل، دراسات في شعر المهجر، شعراء الرابطة القلمية، ص306.

مؤلفاته:

خلال دراسته الحقوق اصدر أول أعماله من القصص و كانت تعرف بإسم "سنتها الجديدة" و أصدرها عام 1914، و بعدها بسنة أصدر قصته الثانية و عرفت بأسم "العاقر".

و قام بنشر كتاب "المرداد" عام1952، و أراد أن يطور من النقد الأدبي فأصدر كتاب "الغربال" في عام 1958، نشر كتاب "أبو بطة" و نشر في 1960 كتاب عن سيرته الذاتية و عرف الكتاب بإسم "سبعون" و أطلق عليه هذا الاسم لاعتقاده أنه لن يتجاوز السبعون. و من أبرز قصائده النهر المتجمد.

أشهر أقواله:

- إعجاب الإنسان بنفسه دليل على صغر عقله .
- متى أصبح صديقك بمنزلة نفسك فقد عرفت الصداقة.
- الكلام مزيج من الصدق و الكذب. أما السكوت فصدق لا غش فيه لذلك أسكت و الناس يتكلمون[1].

3 - نسيب عريضة: هو نسيب بن أسعد عريضة ولد في حمص سنة 1888 و نشأ فيها و تلقى علومه الأولية في المدرسة الأرثذوكسية، و بعدها في دار المعلمين الروسية في الناصرة حيث تمكن من أصول اللغتين العربية و الروسية، و كان أصحابه يلقبونه بدائرة المعارف، و تعرف في الناصرة إلى التلميذ ميخائيل نعيمة فتصادقا و تحابا،و بعد نيله الشهادة في دار المعلمين هاجر إلى نيويورك عام 1905 تلك المطالعات كانت تشحذ مواهبه الغزيرة و تدفع به إلى حياة الحبر و القرطاس و القلم بعيدا عن المتاجر و المصانع التي كان قد لجأ إليها لتحصيل رزقه و في عام 1912 أسس مطبعة "الأتلنتيك" و أصدر مجلة "الفنون" التي راحت تحمل لواء التجديد في الأدب العربي تغذيها أقلام فنية قوية و يتعهدها من حيث الإخراج ذوق مسرف في الأناقة و الترتيب، و لاقت المجلة إقبالا كبيرا،لكن الحرب العالمية الأولى من جهة و ضيق ذات اليد من جهة أخرى قضا عليها قبل أن يكتمل العام الأول من عمرها[2].

---

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر، شعراء الرابطة القلمية، ص306.

[2] المهندس جورج فارس رباحية، مجلة كفريو الثقافية، 28 نيسان 2014.

فكان موتها أكبر من صدمة تلقاها نسيب عريضة فما فارقته أوجاعها حتى فارق كل أوجاعه الأرضية. و أعاد شاعرنا الكرة فجدد حياة "الفنون" بمساعدة بعض الأصدقاء عام 1916 و لكنها توقفت نهائيا عن الصدور و لم تكمل العامين من عمرها الثاني.

و أسس الرابطة القلمية في نيويورك مع إخوانه في المهجر:جبران خليل جبران- ميخائيل نعيمة - ندرة حداد - عبد المسيح حداد - رشيد أيوب - إيليا أبو ماضي -أمين الريحاني - و ليم كاتسفيلس.

و إذا انقطع رجاء نسيب عريضة بعودة معشوقته "الفنون" إلى الحياة، انصرف عنها إلى هموم الساعة و تدبير شؤون المعيشة، فتزوج بعد الحرب العالمية الأولى من نجيبة حداد شقيقة عبد المسيح حداد صاحب " السائح" و الشاعر ندرة حداد فما رزقا أولادا.

كانت نفس نسيب قد سئمت العمل في المتاجر ة و المصانع فاشتغل حينا في تحرير "السائح" و "مرآة الغرب" و "الهدى" ثم في مكتب الأنباء الأمريكي إبان الحرب الأخيرة و كان حزنه على شقيقه سابا المتوفى في ربيع شبابه بعيد الحرب العالمية الأولى، ثم مآسيه الروحية و المادية الكثيرة التي عقبت احتجاب "الفنون" قد هدت جسمه القوي فانتقل إلى رحمة ربه في مدينة بروكلين يوم الاثنين 25 آذار 194. و كان ديوان "الأرواح الحائرة" في يد المجلد عندما لفظ صاحبه أنفاسه. و له ديوان آخر لم ينشر و آثار نثرية قيمة منها قصتاه البديعتان "ديك الجن الحمصي" و "حديث الصماصمة" و "أسرار البلاط الروسي: رواية ترجمها عن الروسية" حسبك أن تقرأ قصيدة أو قصيدتين من نظمه لتشعر أنك في حضرة شاعر فذ رحب الخيال، مرهف الحس،خفيف الظل، صافي النبعة، صادق النبرة فتراه يتنكب السبل المطروقة و القوالب المألوفة و ترفع عن كل مبتذل في اللون و اللحن و المعنى، فلا يتملق و لا يماري و لا يتضع و لا يبرق و لا يرعد أو يرغي و يزيد ليهول عليك بالضجيج و الصخب ، بل هو يبث شعوره بالحياة بثا، أشبه ما يكون برذاذ المطر يتساقط في سكينة الليل على بقاع عطشى فيؤنسها و لا يزعجها، و لم يشد نسيب عن إخوانه أعضاء الرابطة من حيث شعورهم بغربتين متلازمتين: غربتهم عن الوطن المادي و غربتهم عن الوطن الروحي[1].

[1] المرجع السابق،، مجلة كفريو الثقافية.

و لعل الغربة الثانية كانت الأقسى على قلبه. فلا عجب أن تسمع للأسى في شعره أنغاما شجية و أن تبصر فيه كل ألوان الحيرة و الوحشة. و من أجمل قصائده الوطنية: الحنين "إلى فلسطين" و "يا حمص يا أم الحجار السود".

من أشهر أقواله:

- سوف نقدم لقرائنا أحسن الكتابات العربية، هدفنا الأكبر هو أن نترجم إلى العربية أجمل ما في اللغات الأخرى[1].

4 – ندرة حداد:

هو ندرة بن رشيد حداد ولد في حمص 1881 و تلقى علومه في مدارسها ثم هاجر إلى نيويورك عام 1871 و كان هو و أخوه عبد المسيح من مؤسسي الرابطة القلمية و العاملين في حقلها، و لهما أثر في أدب المهجر الذي غداه بشعره الرقيق بينما كان يعمل موظفا في بنك لبنان الوطني. كان عفيف القلب و اليد و اللسان و قدوة تحتذي في نظافة الوجدان.

كان شعره مرآة نفسه عذوبة و بساطة و نعومة و صفاء. و قال عنه حنا خباز في كتابه "حول الكرة الأرضية" حين قابله في نيويورك عام1919 أثناء تجواله حول العالم: أنه شاعر هادئ الروح بعيد جدا عن الفضول. كان يميل إلى الإيجاز في القول، متعبد صوفي النزعة بعيد عن التعصب المذهبي، و بشر برسالة الحب الإنساني. و كان يتسم بطابع المحافظين لغة و بطابع المتجددين تلاعبا بالأوزان، كما أولع بالبحور القصيرة المجزأة .اعتلت صحته و صحة جيبه في السنين الأخيرة من حياته و لكنها لم تؤثر على بشاشته و لا على أبائه و كان القلق يرتسم على ملامحه و يهمس في حديثه. و كانت وفاته عام 1950 فجأة في حفلة عرس بعد أن أنشد فيها شعر التهاني، و له ديوان "أوراق الخريف" و كان يكتب في جريدة "السائح" التي أسسها شقيقه عبد المسيح عام 1912 بنيويورك[2].

---

[1] المرجع السابق، مجلة كفريو الثقافية.

[2] جورج فارس رباحية، جريدة زمان الوصل، 2007/10/27.

5 – رشيد أيوب:

هو شاعر يمكن تحديد شعره في حدود الحب و الألم و الخمر، بجانب الرنة الموسيقية، و الرقة و عدم التكلف .

ولد هذا الشاعر في قرية بسكنتا، و هي قرية ميخائيل نعيمة في لبنان، و من ثم هاجر إلى أمريكا الشمالية بعد رحلات قام بها إلى باريس و مانشستر، سماه المؤرخون و أصحاب التراجم بـ"الشاعر الشاكي" لكثرة ما شكا الزمان، إلا أنه اختار لقب "الدرويش"، و هذا كله راجع إلى هجرة بلاده،و ما عناه من المشاكل و الصعوبات في حياته.

و بعدما انتظم في سلك أعضاء الرابطة القلمية أصدر ثلاثة دواوين، "الأيوبيات" في 1917 و "أغاني الدرويش" في 1928، و "هي الدنيا" في 1939،و لم تعطه المنية مزيدا من الفرصة للقيام بإبداعات أخرى .

و رشيد أيوب لم يقرض كثيرا من القصائد و المنظومات بالنسبة لغيره من شعراء الرابطة و لكن شعره يتنوع محتوى و مشتملا، ففيه ما في شعراء العرب العرباء من الفخر بالنفس و ما يشبهه، و ذكر الحبيب و ما يمارسه العاشق من أنواع الوجد، من خلال ذكره لها، و تزداد بيانها أمامه، و الحماسة التي هي أشهر أصناف الشعر العربي.

و كذا يشمل شعره ما يميزه عن غيره من شعراء العربية، فلديه ذكر كثير لوطنه الذي قد أنسى ذكر حبيبه سليمى في كثير من الأحيان، فهو يحرض العرب على تحريره و الحفاظ على عزته، كما يعرب عن علاقته الشديدة الوطيدة معه، و فوق ذلك نجد أنه جاء بتعابير رائعة حديثة، و معان جديدة لكلمات قديمة، كما اقتبس من القرآن و الحديث و الشعراء العرب القدامى[1].

[1] د. أورنك زيب الأعظمي، مجلة الألوكة، 2015/01/13.

و كذا نجد أنه في معظم الأحيان يوافق ما قاله الشعراء الدوليون الآخرون، كما يحاول أن يختلف عنهم في التعبير و أداء المعاني، و هكذا فيكون الشاعر جامعا بين القديم و الجديد في جانب، و في جانب آخر يتجاوز حدود الوطن فيصبح عالميا بما أنه يوافق ما قاله الشعراء الأجانب كما يختلف عنهم، كما يحصل بالآخر في شعره لما حواه الكثير من أبياته في ذكراه، و ما عناه من الشدائد و ما يتطلبه من أبنائه[1].

6 – إيليا أبو ماضي: 1889 1957 شاعر لبناني يعد من أهم شعراء المهجر في أوائل القرن العشرين و أحد مؤسسي الرابطة القلمية، هاجر إلى أمريكا و استقر بها،أما حياته فسنتعرض لها في المبحث الثالث من الفصل الثالث كموضوع دراسة .

أما عن مؤلفاته:

- "تذكار الماضي" صدر سنة 1911.
- "إيليا أبو ماضي" صدر عام 1918 بنيويورك.
- " الجداول" صدر عام 1928 بنيويورك.
- " الخمائل" صدر عام 1940 بنيويورك أكثر دواوينه نجاحا و شهرة.

أما عن قصائده المشهورة قصيدة المساء، فلسفة الحياة، الغابة المفقودة، ابتسم[2].

[1] المرجع السابق، مجلة الألوكة.
[2] الناعوري عيسى، إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث.

الفصل الثالث

المبحث الأول:

اثر الرومانسية الغربية في شعراء الرابطة القلمية:

ليس غريب مطلقا أن يكون شعراء العرب في أمريكا الشمالية قد اطلعوا على الآداب الأمريكية و فهموا مذاهبها و أهدافها و رأوا فيها أفكارها و أرائها فاحتذوا حذوها و عملوا مثلها، و رغم هذا التأثر لم يذوبوا في آفاق تلك الآداب و بقيت لهم شخصيتهم الأدبية المستقلة و جاء تأثرهم قريبا من الاحتذاء[1].

ففي أمريكا كان الأدب ما يزال متأثرا بتلك الحركة الروحية القوية التي ظهرت على يد 1806 – 1884 و غيره من الشعراء الذين نزعوا في شعرهم نحو مذهب " الترانسند نتلزم و معنى هذه الكلمة العناية بكل ما هو روحي و السمو بالروح إلى آفاق علوية، و فيها قال مؤرخو الأدب أنها مظهر لاحق للحركة الرومانسية الأوربية نفسها.

خاصة أن كلتا الحركتين تسير على مبدأ الصبر على التفكير الكلاسيكي السقيم. و من أدباء أمريكا المشهورين الذين كان لهم اثر في الحياة الفكرية هناك و الأدبية في ذلك الوقت "والت ويتمان"،و "ولف والد"، و "امرسون" ،"هنري دافيد ثورو" و كان لهم اثر على الشعراء المهجريين،فنجد جبران كان على صلة وثيقة ببعض الشعراء الأمريكيين و اشترك في تحرير مجلة الفنون السبعة و اتصل بجمعية الشعر النيويوركية التي أتاحت له أن يلقي في اجتماع من اجتماعاتها شيئا من نتاج قلمه.

و كان جبران على صلة وثيقة بعدد لا باس به من المنتديات الأدبية الأمريكية، و كان بينه و بين شاعرات أمريكا و أديباتها صداقة تبلغ حد المتانة و الإخلاص في بعض الأحيان كصداقته للاتينية "ماري هاسكل" و صداقته "لبربرا يونغ" التي كتبت كتابا عنه و عن ذكرياتها معه و نرى اباما في يتأثر "بويتمان" الشاعر الأمريكي الذي كان يدعو إلى المبادئ الروحية و يتأثر بـ"ثورو" الداعي الامتزاج بالطبيعة و الحياة في صفاتها و التخلص من تعقيدات الأنظمة الحديثة[2].

---

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر ،**شعراء** الرابطة القلمية، ص 99.

[2] **عبد الد**ايم صابر، أدب المهجر، دراسة تأهيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية، في الأدب المهجري، ط1، 1993، **ص** 221.

ففي افتتاحية ديوانه الجداول نجد مصالحة بين الروح و الجسم و هي كثيرا ما تتردد في شعر "ويتمان" فيقول ويتمان في افتتاحيته

أحتفل بنفسي و أتغنى بنفسي

و كل ما ادعيه أنا عليك أيها القارئ أن تدعيه

لان كل ذرة تنتمي إيليا تنتمي إليك[1].

و يقول أبو ماضي في أول ديوان الجداول:

يا رفيقي أنا لولا أنت ما وقعت لحنا

كنت في يسري لما كنت وحدي

انه استطاع أن يعرف الروح السارية في الموروث الشعري الأمريكي، كما تأثر المهجريون بالنزعة الرومانسية الأوربية، فلم أحقق "نابليون" شاع اليأس في قلوب الشبان الفرنسيون و أحسوا أن أمالهم تتبدد على صخرة الواقع المرير الذي تعيشه فرنسا فعالجوا أنفسهم بآمال محطمة و أحلام يائسة و قلوب حزينة و مضوا بها إلى الطبيعة يلتمسون لديها العزاء. فرارا من واقع الحياة القاسي المرير. و تتشابه مدرسة المهجريين مع المدرسة الرومانسية حتى في أسباب التكوين، فالرومانسية نشأت في أعقاب الثورة الفرنسية و المدرسة المهجرية اتضح كيانها و برزت ملامحها بعد الحرب العالمية الأولى[2].

و قد تأثر جبران بالشاعر الانجليزي "وليام بليك" و أعجبه من حياة بليك هدوءه العائلي و مشاركة زوجته له تأملاته و معاونتها له في فنه بقدر استطاعتها و تمنى جبران لو يستطيع تحقيق هذا الحلم هو الآخر فيجد بجانبه فتاة أحلامه التي قد تشد أزره و تأخذ بيده[3].

---

[1] المرجع السابق، أدب المهجر، دراسة تأهيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية، في الأدب المهجري، ص 222.

[2] المرجع نفسه، ص 222-225.

[3] سراج نادرة جميل، دراسات في شعر المهجر المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،شعراء الرابطة القلمية، ص 119.

و قرأ جبران كل ما وقعت عليه يده من مؤلفات "بليك" و ما كتب عنه و ما قيل عنه و أعجب به بقوة خياله و سعة تفكيره، و أعجبه على وجه الخصوص ذلك التمرد على القوانين الصارمة و العادات القديمة البالية، فـ "بليك" متمرد ثائر مثل جبران، و شعر "بليك" عبارة عن تأملات بالحقيقة و تعبيرات الخيال خاصة و معان روحية عميقة، و هذا التأثير أدى بجبران للعناية بالروح و النفس و العالم العلوي، و من جبران سرت العناية بالروح إلى جميع أفراد الرابطة[1].

كما تأثر أيضا بأسلوب "نيتشه" و طريقته التي اتبعها في كتابه "كذا تكلم زرادشت" و عرف كيف يلتقط فن نيتشه، و دفعه الإعجاب به إلى أن يحاول أن يكون هو "نيتشه" جديدا. متأثرا بأساليبه و طريقته في التعبير.

و نجد ميخائيل نعيمة و نسيب عريضة يتأثران بالأدب الروسي و ذلك نتيجة تلقيهما العلم و هما في مراحلهما الأولى بالمدارس الروسية و دراسة نعيمة في جامعة "بلتاف" و اطلاعه على نتاج الأدباء الروس أمثال " جوركي و بيلنسكي و بوشكين".

و يقول ميخائيل نعيمة في كتابه "ابعد من واشنطن و من موسكو" أطبعت على الكآبة في النفس الروسية نتيجة للقلق المستبد بها من حياة معتمة العينين، مكبلة اليدين و الرجلين و للشوق المتأجج فيها إلى حياة تبصر طريقها[2].

و قد استمد نعيمة من الأدباء الروس و النقاد أشياء كثيرة أثرت في تفكيره فيما بعد.

"فبيلنسكي" الناقد الروسي كشف له عن مواطن الصدق و القوة و الخير و الجمال في العمل الأدبي و عن سمو وظيفة الأديب إذا هو أحسن تأديتها بالنسبة إلى نفسه و إلى الحياة حواليه و إلى الذين يقرءونه و النهر المتجمد الذي وصفه نعيمة في قصيدته إنما يرمز به إلى حياة الشعب الروسي المتجمد و التي يهيمن عليها القيصر الروسي، واستطاع نعيمة أن يصور مشاعره اتجاه هذا الشعب ثم آماله في الغد المشرق الذي يرجوه له، و لكنه في نهاية القصيدة ...عن الشعب إلى القلب فيقول[3]:

---

[1] ندير العظمة، جبران خليل جبران في ضوء مؤثرات الأجنبية، ص88.

[2] المرجع السابق، جبران خليل جبران في ضوء مؤثرات الأجنبية، ص191.

المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية،**شعراء الرابطة**
[3]القلمية، ص 267.

يــا نـهـر ذا قـلبي أراه كما أراك مكبلا

و الفـرق انك تنشط من عقالك وهو لا[1]

و يرجع تأثر نسيب عريضة بالأدب الروسي إلى نشأته الأولى فقد تلقى نعيمة الابتدائي في مدرسة حمص الروسية المجانية و حين ظهر تفوقه اختارته الجمعية الروسية الإمبراطورية ليكمل تعليمه الثانوي في مدرسة المعلمين الروسية في مدينة الناصرة في فلسطين،و حرص على ترجمة بعض القطع النثرية و الشعرية من الأدب الروسي في صحيفة الفنون، ففي قطعة من الشعر الحر بعنوان "الموت" لزعيم الحركة الرمزية في الأدب الروسي الكاتب "موشكو فيسكي" يشجع الكاتب على الترحيب بالموت كأفضل هبة منحتنا إياها الطبيعة[2].

و يظهر الأثر أيضا في التجديد في الصياغة، فنجد الشاعر نسيب عريضة يمزج بين البحور العربية القديمة و بين التو شيح الأندلسي مزجا ملائما فيه الكثير من التوافق و الانسجام و لا شك أن هذا التجديد الذي أحدثه عريضة و غيره من شعراء الرابطة في الموشحات و أوزان البحور قد جاءهم من اطلاعهم على الأساليب الشعرية الغربية، فكثيرا ما تصرفوا في تلك البحور المألوفة فنجد اليا أبو ماضي يتحدث على لسان "العميان" فيقول:

كـم خـفضنــا الجناح للـجـاهـلـينا   و عـذرنــاهـم فـمــا عـذرونــا

خـبـروهـم يـا أيـهـا الـعاقـلـونا

إنمـــا نـحـن معشــر الـشعـــراء   يـتجلـى ســر الـنـبـوة فـيـنــا

فهذه الأوزان الجديدة لم يعهدها الشعر العربي القديم و هي اقرب في طريقة صوغها و أنغامها و موسيقاها إلى الشعر الأجنبي بوجه عام .و شعر الرابطين يمتاز بموسيقى داخلية تنساب من خلالها أبياته و توحى بها أوزانه و قوافيه و تتجاوب لها النفوس و تتأثر بها القلوب في يسر و سهولة و دون أي كلفة و لهذا أطلق عليه الدكتور محمد منظور اسم "الشعر المهموس" و هذا التأثير و التحريك للنفوس لم يأت لشعرهم إلا من تلك الأنغام الموسيقية الناعمة التي توخوه العزف عليها في لبياتهم و مثال على هذا التغير نجد قصيدة مقطوعة "أوراق الخريف" لميخائيل نعيمة التي يبدأها بقوله:

تــنــاثــري تـنــاثــري   يــا بـهـجـة الـنـظـر[3]

---

[1] **المرجع السابق،** دراسات في شعر المهجر المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر ،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص**267.

[2] المرجع السابق، أدب المهجر، ص 231.

[3] سراج نادرة جميل، دراسات في شعر المهجر المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر ،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص**263.

يا مرقص الشمس و يا أرجوحة القمر
يا ادعت الليل و يا قيتارة الشجر
يا رمز فكر حائر و رسم روح ثائر

نلمس في هذه الأبيات موسيقى هادئة حنونة تدل على السكينة، و يرى ميخائيل نعيمة انه لا مانع لشاعر من الشعراء أن يشتق كلمة من الكلمات و يستخدمها في شعره باعتبارها جديدة في اللغة، ما دام قد وجد ضرورة له، و الاشتقاقات و الكلمات الغربية كثيرة في دواوين شعراء الرابطة القلمية كثيرة[1].

فنجد اليا أبو ماضي يستخدم كلمة "غرابيب" و هي ليست معجمية صحيحة بدل "غربان" و القارئ في ديوان "الأيوبيات" يلاحظ انه يستخدم أحيانا بعض الألفاظ الأجنبية في صورة كلمات عربية يدخلها في شعره، في مثل قوله في وصف مدينة نيويورك.

كأني "بالصبواي" يوم تجمهرت بها الناس خلت الناس في موقف الحشر
تروح بها "الكارات" مَلأى خلائقا و ترجع فيها مثقلات إلى الجسر

و يقول في مقطع آخر:

لا بد أن أقوى عليك مظفرا لو بعد حين
حتى و لوها جمتني تحت المياه "بصبمرين"

أما من حيث الأساليب الشعرية فنجد عند شعراء الرابطة القلمية ميلا إلى استخدام الأسلوب القصصي في بعض قصائدهم و مقطوعاتهم و هو غالبا من النوع العاطفي أو التأملي الحزين مثل قصة "الشيخ و الفتاة" لرشيد أيوب و قصة "الشاعر و المالك الحائر" لايليا أبو ماضي و قد بلغ فيها غاية الاشقاف في التعبير و الجمال في التصوير، و هم أحيانا يستخدمون الأسلوب الحواري في شعرهم القصصي و غير القصصي و يكون الحوار عندهم بين شخصيتين أو ثلاث حسب موضوع القصيدة[2].

---

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،شعراء الرابطة القلمية، ص 263
صبواي و الكارات: كلمات مأخوذتان من الإنجليزية
صبمرين كلمة أجنبية Submarine تعني الغواصة المائية التي تستعمل وقت الحرب.
[2] **المرجع** نفسه، ص 276.

و كثيرا ما يجعل الشاعر من نفسه شخصية يحاورها و يكلمها، و أحيانا يجعل من قلبه شخصية ثالثة يشركها في الحديث و الحوار و لا شك أن هذا الأمر بجديد من ضرب نظم الشعري لم يعهده الشعر العربي في أساليبه المعروفة .

أما عن التجديد في المعاني فتابع لتجديد في الصياغة، فالمعاني عندهم مرتبة متعمقة روحية استمدت الكثير من أجواء العلم و الفن الغربي و الأمريكي الرفيع[1].

لاشك أن هذه المؤتمرات كلها أفادت الأدب المهجري و أكسبته خبرة واسعة جعلته يرقى إلى مستوى عال من الفكر و التعبير، مع ما تمتع به هؤلاء الأدباء الذين هاجروا من بلادهم من مواهب قوية و نفوس حائرة، و أرواح شفافة و عقول قادرة على التلقي و التحميص و الإبداع و هذا ما يؤكده جورج صيدح حين يوضح السر في تفوقهم و يقول انه الموهبة الفطرية لا الثقافة[2].

و يرى الدكتور مندور "أنهم قوم مثقفون قد أمعنوا النظر في الثقافات الغربية التي لا غنى لنا اليوم عنها، و عرفوا كيف يستفيدون منها في لغاتها الأصلية، فصنعت هذا الأدب الذي التقت فيه حضارة الشرق بحضارة الغرب و روحانية الشرق بمدينة الغرب و ماديته[3].

<u>اثر الرابطة القلمية في الشرق العربي و المهجر:</u>

إن تأثير كتابات أعضاء الرابطة القلمية في العالم العربي إلى درجة كبيرة و بدأت عقول أبناء الشرق العربي نحو التجديد و التفتح و لو بصورة أولية، منذ بدا دخول المؤثرات الأجنبية و المبادئ التجديدية التي لاحت في بعض قصائد "احمد شوقي" و "حافظ إبراهيم" ثم مطران الشاعر الإبداعي في مصر، و على ليدي احمد فارس الشدياق و مارون نقاش و نجيب حداد و فرح أنطوان و غيرهم من اللبنانيين، فما إن وصلت مجموعة الرابطة القلمية إلى أبناء الشرق العربي حتى تقبلتها القلوب و العقول أحسن قبول كان من كتابات جبران خليل جبران و نعيمة و ايليا أبو ماضي الذين كانوا احد عمالها حتى ذلك الوقت[4].

---

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص** 277.
[2] المرجع السابق، أدب المهجر، ص 231.
[3] منظور محمد، الميزان الجديد، ص85.
[4] سراج نادرة جميل، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص** 93.

و أصدرت دار الهلال كتاب "العواصف" لجبران في طبعة جميلة أنيقة ثم طبعت له مجموعة أخرى من كتبه و صدرت له في مصر أيضا تنائياته الشعرية المعروفة باسم "المواكب" و مجموعته المختارة "البدائع و الطرائف" و كذلك اهتم بعض الأفراد من المعنيين بالأدب في مصر بجمع بعض القطع الشعرية و النثرية من أدب المهجر مثل الذي فعله الأستاذ محي الدين رضا حين اصدر كتاب "بلاغة العرب في القرن العشرين" و هو عبارة عن مختارات بأقلام رسائل البلاغة العربية كما جاءت في كتاب في أمريكا الشمالية و الجنوبية[1].

و ما إن صدرت هذه المجموعة حتى نفدت من السوق بأقصى سرعة، و تتابعت على ناشرها كلمات الشكر و التأييد من أشهر أدباء الأقطار العربية مثل:عباس محمود العقاد و إبراهيم عبد القادر المازني و الآنسة مي زيادة و غيرهم، فكان هذا مشجعا له على إعادة طبع الكتاب في عام 1924.

و في عام 1923 صدرت مجموعة مقالات أدبية و نقدية لميخائيل نعيمة في كتاب "الغربال" و كان لهذا الكتاب أثره أيضا في نفوس الأدباء و النقاد الشرقيين،فكتب عباس محمود العقاد مقدمة للكتاب حبذ ما يدعو إليه المؤلف من روح تجديدية صادقة و بعد عن التقليد، و لا عجب فعباس العقاد كان من الداعيين إلى هذه النزعة الجديدة و من المفكرين فيها و من الناعين على أمير الشعراء احمد شوقي لتشبثه بالقديم . و لقد وصلت كتابات أعضاء الرابطة القلمية إلى العالم العربي و سرعان ما عرفت بين أدباء الشباب في الشرق تلك البلاغة التي أطلقوا عليها "بالبلاغة الجبرانية" و التي تتميز بالتشبيهات الخيالية الرقيقة و الألفاظ ذات الجرس الموسيقي الحنون.

و من تتبع هذه الطريقة من أدباء مصر الأول الآنسة "مي" و توفيق الرافعي و غيرهما،كما تبعها أيضا أعضاء مدرسة "ابولو" و مؤيدوها، و هي المدرسة الشعرية التي أسسها الدكتور احمد زكي أبو شادي في الإسكندرية قبل هجرته إلى العالم الجديد، و ظلت تنفح الشعر الحر و تدافع عنه مدة من الزمن ، و قد وجد لمدرسة المهجر أنصار كثيرون ففي تونس شغف أبو قاسم الشابي بأدب المهجر واستاسره[2]

[1] جوزيف الخوري**طوق**، موسوعة جبران خليل جبران، دراسة مقارنة، ص141.
[2] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص** 94-96.

منه أسلوب جبران خاصة، فكانت النزعة الجبرانية واضحة في تعابيره و خياله، و في الحجاز وجدت طائفة من الشعراء جنحت إلى شعر المهجر فتأثرت بأسلوب جبران و نعيمة و عريضة و غيرهم كما نجد عند بعض الثائرين الحجازيين روحا من نثر المهجر الذي سماه الدكتور محمد مندور النثر المهموس. و على الرغم من هذا التأثير في الشعر العربي لقت الرابطة القلمية نصيبا من المعارضة في الشرق العربي هذا الشعر الذي لا يتوخى البحور المعروفة و الأوزان المطروقة ليس غير و قد عارضوا في ذلك الأدب خاصة عدم اهتمام أصحابه أحيانا باللغة و قواعدها و الصرف و مشتقاته و العروض و ما عرف فيه من أوزان و بحور و كان من المعارضين له في مصر الدكتور محمد حسن هيكل، و إبراهيم عبد القادر المازني، و الدكتور طه حسين الذي كتب نقد ديوان الجداول لايليا أبو ماضي ضمنه الجزء الثالث من كتابه "حديث الأربعاء" و لكن جبران لم يسكت إمام هذه الصيحات المعادية فقد كان حاد الطبع أبي النفس، فرد عليهم مبينا الفرق بينهم و بينه شارحا أهداف رابطته معتزا بها، فيقول من قصيدته بعنوان "يا من يعادينا" :

جاورتم الأمس و ملنا إلى ... يوم موشى صبحه بالخفاء
و رمتم الذكرى و أطيافها ... و نحن نسعى خلف طيف الرجاء
وحيتم الأرض و أطرافها ... و نحن نطوي الفضاء بالفضاء

فهو يبين أهداف المهاجرين عامة من حياتهم في المهجر و الشعراء منهم خاصة لما لديهم من حس مرهف و شعور رقيق، فهم لا يودون نبش الماضي و لا الالتفات إلى الوراء و كل همهم النظر إلى الأمام و العمل و البحث في طريق المستقبل، ثم تأخذه الحمية فيدافع عن نفسه و عن زملاءه بقوله:

لوموا و سبوا و لعنوا و اسخروا ... و ساوروا أيامنا بالخصام
وابغوا و جوروا وارحموا و اصلبوا ... فالروح فينا جوهر لا يضام
فنحن نحن كوكب لا يسير ... إلى الورا في النور أو في الظلام
إن تحسبونا ثلمة في الأثير ... لن تستطيعوا رتقها بالكلام[1]

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص** 96-97.

و يقول ميخائيل نعيمة عن اثر هذه الروح المعارضة أو العدائية لأدب الرابطة القلمية فما كانت نقمتهم إلا لتزيدها قوة و حماسة و اندفاعا و لتنمي غدد أنصارها و مريديها و مقلديها و المعجبين بها في كل قطر عربي، حتى حار في أمرها أصحابها و أعدائها على سواء، فما عادوا يعرفون إلا لماذا يحولون و سر قوتها و بعد تأثيرها، فمن قائل أن سر في الأدب الأمريكي الذي تأثر به عمال الرابطة القلمية، و هو قول فارغ، و من قائل انه في تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة و أصولها، و هو قول فارغ و أعقم من القولين الأولين، إما الحقيقة فلا يعلمها إلا الذي جمع عمال الرابطة القلمية في فسحة محدودة من الديار غربتهم و لمحة معلومة من...هجرتهم و وضع في صدر كل منهم جذوة تختلف عن أختها حرارة و بهاء، و لكنها من موقد واحد و إياها[1].

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية، ص 98.

المبحث الثاني:

إيليا أبو ماضي تفاؤل و ابتسام و حب الحياة:

يعد إيليا (أبو ماضي) زعيم الرابطة القلمية إذا قيست الزعامة بعدد الدواوين التي صدرت عنه و بعد صيت القصائد التي أخرجها منذ نظم الشعر، فان له من الدواوين أربعة تعد الثلاثة الأخيرة منها اكبر دليل على شاعريته الأصيلة و فكره الثاقب و خياله و ثقافته التي اخذ بها نفسه منذ صغره، و لكن عند تأسيس الرابطة القلمية (إيليا أبو ماضي) لم يكن من الحاضرين في الاجتماع التأسيسي الأول، و لكنه منذ انخراطه و انتظامه في عقد أعضائها أصبح يدافع عنها و ينشر مبادئها و يحمي أهدافها و يحققها في شعره.

و لم تنظم دواوينه الأربعة كلها في ظل عضويته للرابطة القلمية، بل كان شاعرا موهوبا قبل انضمامه إلى الرابطة لا في العالم الجديد فحسب بل في الشرق العربي كله أيضا، (فأبو ماضي) لم يهاجر إلى أمريكا صغيرا في طلب الرزق أو الحرية و المجد كزعيم الرابطة القلمية جبران خليل جبران، و لم يقعد هناك للدراسة في الجامعة كما فعل نعيمة، بل في مجرى حياته تيارات مختلفة كل الاختلاف عن حياة هذين الزميلين، و عن حياة أي زميل آخر في الرابطة القلمية.

حياته:

و لد (أبو ماضي) بقرية "المحيدثة" بلبنان عام 1885 نشا فيها صغيرا و تلقى علومه الأولى في مدرستها الابتدائية،و يظهر انه اكتفى بذلك القسط من التعلم، و ضاقت به و بأهله الحياة في لبنان فهجرها كما هجرها غيره من اللبنانيين، و لكنه لم يهجر لبنان إلى أمريكا رأسا، بل قد جعل مصر طريقا أول في سبيل هجرته إلى العالم الجديد[1].

قدم "اليا أبو ماضي" إلى مصر و نزل بالإسكندرية و عمره إحدى عشر سنة ثم اشتغل بالتجارة البسيطة، ففتح محلا صغيرا لبيع الدخان و السجائر، و هداه ذكاؤه و حبه للعلم و المطالعة إلى أن يقرا و يدرس في أوقات فراغه إلى جانب هذا اخذ يطالع الصحف و المجلات الأدبية المعروفة في ذلك الوقت و يطلع على أشعار الشعراء المشهورين، مثل "محمود سامي البارودي" و "خليل مطران" و "احمد شوقي" و "حافظ إبراهيم" و كانت حياته في مصر سعيدة هانئة، و خاصة أول هجرته و بعد أن عرف اسمه في عالم الصحافة و الشعر[2].

---

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر ،**شعراء الرابطة القلمية**، ص 319

[2] الناعوري عيسى، إليا أبو ماضي رسول شعر العربي الحديث، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ص190.

<u>الهجرة و الحنين:</u>

بعد إصداره ديوان "تذكار الماضي" مل الحياة في مصر و قد اختلف المؤرخون في بيان أسباب هجرته من مصر بعد إقامته فيها مدة من الزمن و خاصة كان يذكرها بالخير دائما و يحن إليها و إلى أهلها و هو في العالم الجديد، و ارجعوا هجرته إلى احد الأسباب الثلاثة:

أولها: مهاجمة ديوانه "تذكار الماضي" في مصر مما أزعجه و اقلق باله و أظلم الدنيا في عينيه.

ثانيا: فشله بالتجارة في مصر .

ثالثا: انه اتخذ السفر إلى مصر خطوة أولى تمهد للهجرة الثانية إلى العالم الجديد[1]، و يضاف إلى هذا انه سمع في ذلك الوقت من أخبار المهاجرين إلى أمريكا ما يسر القلب و يبعث الأمل و البهجة، و سمع بالأخبار من هناك عن الأدباء و الشعراء الذين كانوا قد بدؤا يشقون طريقهم عن صفحات الصحف المهجرية، و على رأسهم جبران خليل جبران ثم رشيد أيوب و نسيب عريضة و غيرهم، فكل هذه الأخبار بعثت في نفسه الأمل و في قلبه الاستبشار، فغادرهم متجها نحو أمريكا الشمالية عام 1911.

فاختار (أبو ماضي) مدينة "سنتاني" ليقيم فيها في العالم الجديد، و هناك واصل عمله الذي جاء من اجله و كان قد شق طريقه في مصر و هو التجارة، و نجح فيها بعض النجاح و في أوقات فراغه كان ينظم خطرات نفسه و خلجات أفكاره و شعوره في هذه الدنيا الجديدة بعيدا عن الشعراء المتواجدين في نيويورك فهو لم يلقى في هذه المدينة ميدانا يعرض فيه شعره و أفكاره، و لم يجد فيها أديبا عربيا واحد يشجعه و يتعاون معه، و لم يستطع مواصلة الحياة فيها على تلك الشاكلة، فقضى بها خمس سنوات ثقيلة عليه[2].

---

[1] **الحاوي** إيليا في النقد و الأدب، الجزء الرابع الأدب المعاصر، ص235.

[2] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص**321.

انتقال(أبو ماضي) إلى نيويورك:

بعدما أصابه الملل في مدينة "سنتاني" قرر (أبو ماضي) الانتقال إلى مدينة نيويورك حتى ينضم إلى الأدباء و الشعراء الذين كونوا الرابطة القلمية و رغم ضجيج المعامل و زحام المدينة إلا أن الرزق فيها وفير و كرامة موفورة و هكذا عاش (أبو ماضي) سعيدا بالقياس إلى حياته الأولى، فواصل نظم الشعر و اتصل بالأدباء و أصحاب الصحف و اشتغل بالتحرير في صحيفة "مرآة الغرب".

و ما لبث أن ظهر اسمه بين الكتاب و الشعراء في تلك المدينة، و عرفه الناس شاعرا و أديبا مما شجعه على إصدار ديوانه الجديد المسمى "ديوان اليا أبو ماضي" و كان ذلك حول عام 1919 و بعد صدور ديوانه الثاني تحسن مركزه الأدبي و المالي كذلك و استعاد شهرته و أهميته و كرامته، فتعرف في هذه الفترة على جميع الشعراء الذين اتخذوا من جريدة "السائح" بوقا لهم، و الذين أسسوا فيها بعد "الرابطة القلمية" و لم يكن ممن حضروا الاجتماع الأول للرابطة، و لكنه انظم إليهم في وقت غير متأخر و أعجب الزملاء بأصالته الشعرية و ذكاءه و اطلاعه فصار يمثل "الرابطة القلمية" في المناسبات و الحفلات و الاجتماعات مما جعل شعر المناسبات يكثر عنده[1].

و ديوان "الجداول" يمثل الحياة الجديدة (لأبو ماضي) و شعره في سنينه الأولى منذ انضمامه "للرابطة القلمية"، فأحسن الاندماج في الرابطة و أتقن الدخول فيها و فهم مبادئها و أهدافها فانه قد تخلى عن مدرسة التقليد في الشعر الذي كان يعد من اخلص تلاميذها في أول نشأته الأدبية، لينخرط في سلك مدرسة تجديدية تحريرية من نوع فريد، لقد عدل عن البحور الطويلة و الأوزان المعقدة، كما تخلى عن المطالع الفخمة و الألفاظ الجزلة ليتبع المعاني الموحية و الأنغام السائغة، و انطلق من قيود المادة ليعبر عن مجال الروح و المثالية و السمو، فيقول في هذا ميخائيل نعيمة "فبين هذه الجداول ما تنسكب معه روحي مترقرقة، مترنمة مطمئنة، جذلة بنور عينها، و جمال على جانبيها، مرحة بحرية لا أرصاد عليها و لا قيود، و مدى لا آفاق له و لا حدود" و بخصوص هذا القول يقول ميخائيل نعيمة هذه شهادة مني (لأبو ماضي)[2].

---

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،شعراء الرابطة القلمية، ص 325.

[2] المرجع السابق، في النقد الأدبي، ص 240-242.

بأنه قد أتقن فهم روح الرابطة القلمية و حقق مبادئها و ميزاتها في شعره و الدلالة على ذلك واضحة في فاتحة الجداول حيث يقول اليا أبو ماضي:

لست مني أن حسب ت الشعر ألفاظا و وزنا
خالفت دربك دربي و انقضى ما كان منا
فانطلق عني لئلا تقتني هما و حزنا
و اتخذ غيري رفيقا و سوى دنياي مغنى

و كان صدور الجداول عام 1927، و استمر (أبو ماضي) في نظم الشعر بعدها تحت ظلال الرابطة القلمية التي حمت شعره و عرفت باسمه و ضاعفت شهرته، و كان قد تشبع بمبادئ الرابطة و قوانينها و أهدافها[1].

و كان الصراع الفعلي عند (أبو ماضي) هو بين موقفه الأساسي و موقفه المكتسب لقد كان لديه ما يكفي من الحس الشعري ليتبنى موقفا جديدا أصبح سائدا فيرتبط به إلى حين، لكن واقعيته الأساسية سرعان ما كانت تثبت نفسها فتجد حلا لكل صراع عنده، فكان لذكائه و مقدرته الشعرية الهائلة دور في إضفاء نبرة أصيلة على تعامله بهذه الأفكار الجديدة الغريبة عنه أساسا، و بخاصة فكرة الميل نحو الطبيعة، و قد أخذها عن جبران و نعيمة و أي مسحة عجيبة من البراءة و الرومانسية تبدو على هذا الشاعر إذ يعلن أن الحب يسري خلال الطبيعة، و أن من الممكن بلوغ الغبطة و السعادة و الانسجام معها، لكن هذه الرؤية لم تلازمه طويلا، فطبيعة (أبو ماضي) الواقعية سرعان ما أدركها الملل الناجم من الحياة في العالمين عالم مزدحم بالبشر (الحسد، القبح، النفاق، و التعالي) و عالم الغاب الصامت الخالي من العمران فيقول:

إنما نفسي ملت العمران ملت في الغاب صمت الغاب
فانا فيه مستقل طليق و كأني أدب في سرداب[2]

---

[1] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص** 327.
[2] الناعوري عيسى، إليا أبو ماضي رسول شعر العربي الحديث، ص192.

و بعد الشهرة التي حققها ديوان "الجداول" اصدر (أبو ماضي) ديوان "الخمائل" و هو عبارة عن قطع شعرية تخيلية روحية تنقل القارئ إلى العالم من الخيال الروحي السامي، كما في قصيدته الشعرية "أمنية آلهة" حيث يقول على لسان الآلهة

أريـد دنيـا فيها شموع تبقى إذا غـابـت الـنـجـوم
أريـد خـمـرا بلا كؤوس فـيـهـا نـفـوسـا بـلا جـسـوم
أريـد عـطـرا بلا زهـور يـسـرى و إن لم يـكن نسـيـم

ففي هذا الشعر يتأثر بالشاعر "وليام بليك" الشاعر الروحي الهائم الذي تأثر به جبران، و يظهر أن عدوى التأثر "ببليك" سرت إلى جميع الزملاء[1].

شعبية(أبو ماضي) في الوطن العربي: أن استمرار شعبية (أبو ماضي) في الوطن العربي يجب أن تكون معيارا جيدا للذوق الأدبي العربي الحديث. فشعر (أبو ماضي) نقطة التقاء بين المؤثرات الغربية و الشرقية، إضافة إلى كونه مزيجا متعادلا من التقليد و الحداثة، و مع أن (أبو ماضي) في أفضل شعره استطاع أن يعبر عن مواقف جديدة، فانه لم يصدم الحساسية الشعرية العربية قط و لم يتخط إدراكه للأشياء و الأفكار و القالب الشعري، فلا في الموضوع و لا في الشكل فتجاوز (أبو ماضي) في حدود المقبول لدى متوسط القراء العرب، و يعد شعره انتصار واضح لنظام الشطرين القديم الذي يشمل تنويعات الموشح لأنه اثبت قدرة تلك الإشكال على امتلاك مرونة داخلية يمكن للمجدد البارع أن يستغلها و ينوع فيها .فيبقى (أبو ماضي) عربيا في أساسه و اقرب إلى الأسلوب العربي من غيره من كبار المجددين في المهجر الشمالي[2].

---

[1] المرجع السابق، في النقد و الأدب، ص241-242.
[2] المرجع السابق، الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، ص180.

وقفة تفاؤلية في حياة الشاعر:

من أهم المواضيع التي أثارت الجدل في شعر(اليا أبو ماضي) موضوع التفاؤل و التشاؤم، و تضارب الآراء بأنه كان متفائلا في حياته و بين كونه شاعرا متشائما ينظر إلى الحياة بمنظار اسود قاتم إلا أنه بشر مثل جميع الناس يتعرض لما يتعرض إليه الناس من أسباب السعادة فتجعله سعيدا متفائلا و يتعرض لأحزان و مصائب الدهر تجعل منه متشائما كئيبا.

و لعل الكثير من النقاد و الأدباء و الدارسين لشعر (أبو ماضي) يتفقون على أن شعره مر بمرحلتين مختلفتين، و ذلك من حيث التطور في المفردات و نزع رداء القديم، و من حيث نزعته و تفكيره، ذلك بأنه قد احدث تغييرا و تجديدا في الكلمة الشعرية لتتسع لمضامين الحياة الاجتماعية و الفكرية و للمشاكل النفسية دون الخروج من بساطته و وضوحه في التعبير، و هؤلاء رأوا انه كان متشائما في بداية مشواره الشعري و ذلك من خلال ديوانه الأول "تذكار الماضي" و الذي يقول فيه:

قالوا ترقى سليل الطين قلت لهم ألان ثم شقاء العالم .....

إن الحديد إذا ما لان صار صدى فكن على حذر منه إذا لانا[1].

ثم ترك الشكو و التذمر و الأنين خلفه و نظم شعرا رائعا متفائلا يدعو إلى التمتع بالحياة و مناظرها و ما تأتي به هذه الحياة هي في أصعب الظروف حتى صار رائد المتفائلين فأصبح يدعو إلى نسيان الهموم و الأحزان حتى لا تتكرر الحياة و تصبح ثقيلة و شائلة فيقول:

هو عبء على الحياة ثقيل   من يظن الحياة عبئا ثقيلا

و تستمر الدعوة التفاؤلية عند الشاعر حتى و هو بعيد عن وطنه لأنه ينظر إلى الوطن نظرة واسعة، فالوطن هو الذي يشمل الإنسانية جمعاء فلا شكوى حتى أن شكا الناس، و لا أنين و لا الم و تشاؤم و أن أحس بها من حوله، فيقول:

أيها السائل عني من أنا   أنا كالشرق إلى الشمس انتسابي

لست أشكو إن شكا غيري   النوى غربة الأجسام ليست بإغتراب[2]

---

1 صيدح جورج، أدبنا و أدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ط3، ص266.

2 ديوان الجداول قصيدة (بردي يا سحب)، ص37.

و لعل مراحل الاغتراب المختلفة قد عملت على صقل تجربته، في الحياة فأرهفت عاطفته و أيقظت شعوره الإنساني و نبهته بواجبه نحو الإنسانية، و دعوته الصادقة ليحيا الجميع الحياة الكريمة التي تليق بهم و كان (أبو ماضي) متمسك بالواقع الذي يفرضه المنطق و كانت نظرته للحياة هانئة سعيدة خالية من المشاكل إذ لا رغبات مستحيلة و لا أمنيات خيالية و بالتأكيد هي نظرات تخرج رجل خبر الحياة، و أدرك كيفية أن يكون واقعي ليصل إلى سعادة يعيشها حقيقة ليس خيالا أو حلما[1].

و هي كلها لا تعود عليه بشيء نافع، فيقول:

أنـا مـن قـوم إذا حزنـوا   وجـدوا فـي حزنـهم ضربـا
و إذا مـا غـايـة صعبـت   هونوا بـالـتـرك مـا صـعـبـا[2]

فالإنسان يجب أن يتمسك بالواقع و أن ينظر عاليا و عليه أن يجعل طموحه و مطالبه مرتبطة بالواقع و في حدود المعقول. و لعل أجمل ما في دعوات إيليا التفاؤلية أنها تهتم بالدعوة إلى الحياة في عالم الرؤى و الأحلام بعيدا عن عالم الأجسام و الآلام، و هي بذلك تضفي على حياة الإنسان محبة الحياة و يوجهها بصفة خاصة لحياة الإنسان الغارق في الشرور و التعاسة و الشقاء ليعيش في حياة تملئها كل ألوان البهجة و المرح و الراحة و الطمأنينة و هدوء البال.

كما دعا (أبو ماضي) في شعره إلى مبدأ الأخوة الصادقة التي تقوم على مساعدة الإنسان لأخيه الإنسان و أن كليهما مكمل للأخر و كان هذا المبدأ عند شعراء المهجر عموما. فيقول اليا في ذلك[3]:

يـا رفـيقـي أنـا لـولا أنـت مـا وقـعـت لـحنـا
كـنـت في سـري لـمـا كـنـت وحـدي أتـغـنـى
هـذه أصداء روحـي فـلـتـكـن روحـك أذنـــا
ربـمـا كـنت غـنـيـا غـيـر أنـي بـك أغـنـى[4]

---

[1] المرجع السابق، أدبنا و أدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص280.
[2] **المرجع السابق**: ديوان الجداول قصيدة (بردي يا سحب)، ص38.
[3] **أنظر مرزا** زهير (إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر)،ط3، ص80.
[4] ديوان الجداول قصيدة (**الفاتحة**)، ص10.

هذا المعنى الأصيل السامي جعله إيليا مفتاح ديوانه "الجداول" ليذل على أن الحياة تقوم على المشاركة و أن الإنسان غني بأخيه الإنسان و انه يجب على كل فرد ألا يستأثر بتفاؤله في الحياة بل يجب على الإنسان المتفائل المؤمن بجمال الحياة أن يشرك معه الإنسانية فيقول:

قال الليالي جرعتني العلقما قلت ابتسم و لئن جرعت العلقما

فلعل غيرك إن رآك مرنما طرح الكآبة جانبا و ترنما[1]

يدعو للتفاؤل و الابتسام حتى و إن كان الإنسان في اشد حزنه حتى يبعث بالأمل و التفاؤل في نضر غيره، و يضع لماسات الحب و الجمال و التفاؤل، فتكون الحياة كلها خيرا و أملا جميلا طيبا، يقول:

لتكن حياتك كلها أملا جميلا طيبا

و لتملأ الأحلام نفسك في الكهولة و الصبا

فالنفس المتفائلة تنظر إلى الحياة كأنها قطعة من الجمال لا تصلح للتجزئة فالجمال ثم الشعور به لا يصدران إلا من نفس جميلة تنظر إلى الحياة بمنظار متفائل، و كان هذا حال الشاعر إيليا الجمال عنده موجود في كل مكان، و الشاعر يدرك أن الحياة عرض زائل و فترة ستنقضي و المرء يعيش فيها فترة محدودة فلماذا يكدرها بالتشاؤم؟ لماذا يجعل حياة جحيما مشتعلا و الحياة مليئة بالجمال و الأمل[2]؟ فيقول:

عش للجمال تراه ههنا و هنا و عش له و هو سر جد مكنون

خير و أفضل ممن لا حنين لهم إلي الجمال تماثيل من الطين[3]

فمن لا يسمر الجمال في نفسه و من حوله أو من أو من ببصره و يتعامى عنه هو اقرب إلى التماثيل خالية من الإحساس و التفكير، و على الإنسان أن يدرك كيف يتغلب على الشر و الشؤم و التذمر ليجعل حياته و حياة غيره سعيدة لإدراكه أن الخير و الشر هو موجودان فيقول:

تتحول أفلاك عن دورانه و الشر في الإنسان لا يتحول[4]

---

[1] ديوان الخمائل قصيدة (إبتسم)، ص58.
[2] المرجع السابق، ديوان الخمائل قصيدة (عش الجمل)، ص36.
[3] مذكرة تخرج.
[4] تذكار الماضي، راجع مرزا زهير (إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر)، ص81.

و من هنا يرى (أبو ماضي) أن الحل و الخيار الوحيد لمحاربة هذا الشر الأصيل و التغلب عليه يكمن في الخير المطلق و العام لكل الناس و ذلك يجعله هدفا و سبيلا و غاية من كل الناس و لكل الناس في هذه الحياة حتى تكون النتيجة خلق مجتمع أصيل متفاءل خالي من المشاكل و لتحقيق ذلك جعل ايليا الشعر يخرج و ينبع من نبض المجتمع و يستمد قوته و عمقه من جديته و صدقه و أحلامه لخدمة هذا المجتمع و ذلك من خلال الدعوة إلى حياة اجتماعية مثالية راقية و هو في ذلك سلك مسلك إنساني فيدعو إلى دعواته بمثالية رائعة يحب من خلالها الحياة[1].

دعوة إلى الصداقة:

كما دعا (أبو ماضي) لتكوين الصداقات بين أفراد المجتمع فالصداقة هي دعامة إنسانية راسخة في الكيان البشري، بل هي الظاهرة الاجتماعية التي تميز الإنسان عما سواه، كما عرف (أبو ماضي) بحبه للبحث عن الصداقة و السعي وراء السعادة و الجهاد في سبيل الحرية و التأمل في ظاهرات الحياة، إذ يرى إيليا انه يجب أن يكون للمرء رفيق يشاركه وحدته و يقاسمه همومه و يقف على مشاكله، و لا بد للإنسان من صديق يقف على عواطفه و يغوص في مكامن أسراره.

و اكبر دليل على ذلك نجده قد افتتح ديوانه "الجداول" بتلك الكلمة الرقيقة العظيمة التي نحس بدفئها و حنانها "يا رفيقتي" فيقول:

يـا رفـيـقـتـي أنـا لـولا أنـت مـا وقـعـت لـحـنـا

و لعل الشاعر عندما توج ديوانه بهذه الكلمة الرقيقة و النداء الإنساني الحبيب إلى النفس إنما اتخذ من العالم و المجتمع و الإنسان الصديق الذي عناه و قصده، لدى نجده يتغنى بصداقته للإنسان، يتغنى بالمجتمع و الإنسانية التي يستمد منها تيار شاعريته فينظم الشعر و يوقع الألحان، فيستمد منها مادة فكره و أنغام ألحانه و ألوان صوره و ضلال أخيلته فيقول:

يـا رفـيـقـتـي أنـت إن راعـيـت فـجـري صـار أسنـى
و إذا طـفـت بـكـرمــي زدتــه خـصـبـا و أمـنــا[2]

[1] يس فؤاد، في كتابه الشاعر المهاجر، ص25.
[2] المرجع السابق، إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث، ص50.

و هكذا هي روحه الإنسانية تسري بالحب و الإخاء لا يهمه منها إلا أن ينفع الناس بما عنده و يقدم لهم الخير و الدعوة إلى الحياة و نظرته للصداقة يحدد قيمتها في السراء و الضراء في الفرح و الكره فهو لا يحب الصديق عند الفرح فقط بل يحبه أكثر عند مصائبه و محنه و مشاكله فيقف إلى جانبه مساعدا له و شادا من أزره، هكذا كان (أبو ماضي) يقف إلى جانب صديقه مدافعا عن صداقته في وقت الضيق و الحوجة أكثر من غيرها، فيعبر عن ذلك فيقول:

إنـني إذا نزل البـلاء بـصاحـبـــي   دافعـت عـنه بـناجزي و بـمخلبـي

و شددت ساعده الضعيف بساعدي   و ستـرت منـكبـه الـعري بمـنكبي

هذا هو إخلاص الصديق لصديقه فيسرع لمواساته بسعة صدره و كريم خصاله و لنا أن نلمح الروح الطيبة و الأخلاق النبيلة السامية في بقية الأبيات:

و أرى مـساوئـه كأنني لا أرى   و أرى محاسـنـه و إن لـم تكتب

و ألوم نفسي قبلـه إن أخطــأت   و إذا أســـاء إلـــي لـم أتـعتـب

هنا الصداقة في أسمى معانيها، فالصداقة و الصحبة يجب ألا تكون عند الرخاء فقط و الصديق الحق هو الذي يسامح صديقه عند خطاه و يحفظ حسناته إذا أحسن إليه، و لا يعاتبه و لا يلومه إلا لخير[1].

<u>دعوة للحياة و الابتسام:</u>

قد نختلف أن الحياة بها بعض الحقائق القاسية و الصعوبات و المشاكل التي تعكر صفوها، إلا أن إليا اختار أن يصورها لنفسه بالشكل الذي تهواه لأنه يريدها حياة سعيدة هانئة يملؤها الحب و الإخاء فيقول:

يـريد الحـب أن نـضـحك فـلنـضـحك مـع الفجـر

و أن نركض فـلنـركـض مـع الـجـدول و الـنهـر[2]

---

[1] **المرجع السابق**، إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث، ص52-53.
[2] **المرجع السابق**، أدب المهجر، ص193.

فهو يريد أن يلتفت إلى الجانب الضاحك من الحياة و لا ينظر إليها عابسة مذمومة، و هذا الجانب واضح في قصيدته "ابتسم" و لعلها تكون القصيدة التي يمكن أن يلجا إليها كل من وصل إلى طريق مسدود في هذه الحياة بعدما أصابه من دواعي الألم و الحيرة و التشاؤم التي تراكمها مصائب الحياة عندها سيجد أن (إيليا أبو ماضي) قد قدم له دعوة رائعة، دعوة موجهة له و لكل من أثقلت عليهم الهموم حتى أظلمت الدنيا في أعينهم و قضت على روح التفاؤل عندهم، و من خلا ل هذه القصيدة نستطيع أن نلمح قدرة الشاعر و براعته على أن يرى في كل شر خير و لا يرى في الشر شر، نلمح فيها قدرة الشاعر على إدخال البهجة و السرور و الطمأنينة إلى النفوس المتألمة التي جار عليها الزمان فأصبحت حياتهم جحيما.

و نلمح نظرة الشاعر المتفائل المؤمن بجمال الحياة[1].

و ليس له اكبر هم إلا أن يشرك الجميع في تلك النظرة داعيا إياهم هذا الحوار :

قــال الـسمـاء كـئيـبـة و تجـهـمــا   قـلـت ابتـسم يكـفـي التجهم فـي السمـا

قال الصبا ولى فـقلـت لـه ابتســم   لـن يرجـع الأسف الصبـا المـتصـرمــا

قال التــي كــانت سمائـي فـي الهوى   صـارت لــنفـسـي في الـغرام جهـنمـــا

خانت عهـودي بعدمـا ملكتهـا قلبي   فكيف قضيت عـمـرك أطيـق أن أتبسمـا

قـلـت ابـتـســم و اطـرب فلـــو   قـــارنـتـهـا لقـضيت عمرك كلـه متألمـا[2]

فإذا ما امتلأت الحياة بغيوم الكآبة و الأحزان، و إذا ما ولى الشباب و ترصد الأعداء و تنكر الأحباب، فليس لك مهرب و ليس لك النجاة إلا ترجع (لاليا أبو ماضي) في قصيدته "ابتسم" .

و القصيدة كلها تسير على هذه الطريقة المبتكرة من الحوار المحكي في صيغة القول و بهذا الصدد تقول نادرة جميل سراج: (نلاحظ أن أبو ماضي يكثر من هذا الأسلوب الحواري في الشعر الذي جاء من واقعيته التي جعلها مذهبا له في الحياة)[3].

---

[1] ديوان الجداول قصيدة (**تعالي**)، ص30.
[2] ديوان الخمائل قصيدة (**ابتسم**)، ص58.
[3] المرجع السابق، دراسات في شعر المهجر،**شعراء** الرابطة القلمية، **ص** 323.

و نجده يدعو للابتسام من جديد في قصيدته "اسمي" و التي يدعو الشاعر من خلالها إلى أن نخلق لأنفسنا البهجة خلقا حتى و لو من شبح خيالنا فنصنعها لأنفسنا صباحا و مساء.

اسمــي كالورد فــي فجـر الصبـاح ورسمـي كالنجـم إن جن المســاء[1]

بل يجب أن تكون الابتسامة في أصعب الظروف التي يمكن أن تصيب الإنسان في حياته.

و عليه و عليه أن يحلم بالأمل و يعلم أن بعد العسر دائما يأتي اليسر.

إذا فقد كان (أبو ماضي) ذلك الإنسان ذا النفس التي تهيم بحب المجد و حب الناس و حب السعادة و حب الجمال و حب الحرية و حب الطبيعة، فهو شاعر التفاؤل دون منازع شاعر محب لكل ما في الحياة.

[1] ديوان الخمائل قصيدة (إسمي)، ص 134.

خاتمة

بسم الله و الحمد لله و ما التوفيق إلا له و منه مبتدئه و منتهاه فهنا يقف القلم بعد أن صال و جال في المذاهب الأدبية و خاصة الاتجاه الرومانسي و ماله من تأثير في الحركة الأدبية، و من المعلوم أن الحركة الرومانسية كانت أعظم مظاهر التجديد في الأدب،فالشعر منذ نشأته طغى عليه التقليد حتى تحجرت فنونه و أغراضه و أصوله و معانيه، فان هذا الشعر لم يقفه شيئا من المذاهب الأدبية التي أخذت تتلاحق عند الغربيين منذ عصر النهضة حتى اليوم.

أصبحت للمدرسة الرومانسية أهداف و خصائص ميزتها على المدارس الأدبية الأخرى، و بالرغم من أن الرومانسية لم تصبح مذهبا أدبيا إلا بعد ما يزيد عن قرن و نصف من ظهور الكلاسيكية .

و كحوصلة لنتائج البحث، فان الرومانسية كان هدفها الأساسي الثورة على مبادئ الكلاسيكية و على كافة أصولها و قواعدها و كما كانت تحمل في طياتها مزايا كثيرة مكنتها من تحرير الآداب من القيود و السيطرة .

و من بين المبادئ التي نادت بها المدرسة الرومانسية في أدبها الثورة على التقليد و الدعوة إلى التجديد و استخدام العاطفة الصادقة في النماذج البشرية و التغني بالطبيعة الخلابة و التغني بالوحدة و الألم و العناية بالوحدة العضوية للقصيدة.

و قد اكتسب بذلك للأدب ميادين جديدة كانت محرمة و كان محور الرومانسية الاهتمام بالفرد و تقدير حقوقه لبناء مجتمع مثالي يقوم على المساواة و الحرية و الإخاء و التعبير عن الآمال الإنسانية من ثنايا التصوير لعواطفهم الفردية فلم يكن هذا الأدب معزولا عما يدور في المجتمع و بهذا فان الرومانسية لها اثر عميق في دراسة الأدب.

المذهب الرومانسي مذهب أدبي رائع يقرب القارئ إلى الشاعر و يعيش معه تجربته الشعورية إلا أن ثمرة الضجر و الشكوى في شعرهم صرفتهم في كثير من المواقف إلى البكاء و الإفراط في اعترافاتهم الشخصية.

كما أن نشأة الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث كان وليد ظروف و دوافع سواء كانت ظروف محلية أو ظروف متأثرة بعوامل خارجية و كان هذا التأثير الكبير من الآداب الغربية له دور كبير في القراءة الشعرية و في التجديد في القصيدة العربية،كما نشا عن هذا الاتجاه مدارس و تجمعات تجديدية، مدرسة أبولو، مدرسة الديوان، عصبة العشرة، الرابطة القلمية....الخ، و كان لهذه المدارس دور في تطور الشعر العربي و تجديده.

كما كانت هناك فرصة للتعرف عن أهم الشعراء الذين تأثروا بمبادئ الرومانسية سواء كانوا غربيين أمثال: فيكتور هوغو- لامارتين- روسو- شكسبير...الخ، أو من العرب أمثال: جبران خليل جبران- ميخائيل نعيمة- نسيب عريضة- أبو ماضي و هذا الأخير التي ذكرت أهم المحطات في حياته و كيف كان له دور في هذا الاتجاه الأدبي.

و منا ترسو بنا سفينة أبحرت بنا في بحر العلم الحقيقي، تقف بنا هنا لنختم بحثنا وقفة لا يختم العلم بها، بل لننهي ما استطعنا نهله في جوف الكتب التي لا قاع لها.

فالحديث عن المدرسة الرومانسية لا يحدها حد،و لا تسعها كتب و لا يكفيها مداد البحر.

و عسى الله أن يجعل في عجز القصور قبولا، و في قصور العجز منالا فان أصبنا فمن الله، و إن أخطانا فمن أنفسنا.

جامعة مستغانم - الجزائر

قائمة المصادر والمراجع

1 - الأيوبي ياسين، مذاهب الأدب: الكلاسيكية، الرومانطقية، الواقعية، دار العلم للملايين.

2 - التذمري محمد غازي، الغزي كمال ياسين، نظرات في الأدب العربي الحديث، دار الإرشاد بحمص ط1، 1996-1997

3 - تذكار الماضي(ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر) .

4 - الجيوسي سلمى الخضراء، ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة، الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث ط1 .

5 - جبران خليل جبران: الأرواح المتمردة، طبع المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، وحدة الرغاية الجزائر 1993 .

6 - جوزيف الخوري طوق، موسوعة جبران خليل جبران دراسة مقارنة .

7 - حير جميل: جبران في عصره، و آثاره الأدبية و الفنية،ط1، 1923 .

8 - الحاوي ايليا(في النقد و الأدب) الجزء الرابع الأدب المعاصر .

9 - خفاجي محمد عبد المنعم، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية السعودية، للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة،2005 .

10 - ديوان الجداول قصيدة (بردي يا سحب) .

11 - ديوان الخمائل قصيدة (الفاتحة) .

12 - ديوان الخمائل قصيدة (ابتسم) .

13 - ديوان الخمائل قصيدة (عش الجمال) .

14 - ديوان الجداول قصيدة (تعالي) .

15- ديوان الخمائل قصيدة (اسمي) .

16 - ربيع محمد احمد، في تاريخ الأدب الحديث،ط2 ،2006 .

17- سراج نادرة جميل,دراسات قي شعر المهجر,شعراء الرابطة القلمية,دار المعارف بمصر1964.

18 - شلتاغ عبود شراد،مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، مجدلاوي للنشر و التوزيع ط1، عمان- الأردن 1998 .

19 - صيدح جورج، أدبنا و أدباؤنا في المهاجر الأمريكية ط3 .

20 - عثمان نغم عاصم، الرومانسية بحث في المصطلح و تاريخه و مذاهبه الفكرية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتجية، العتبة المقدسة ط1،2017- 1439 .

21 - عبد الدايم صابر، أدب المهجر، دراسة تأهيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري ط1،1993 .

22 - غنيمي هلال، الرومانتكية، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع .

23 - فشوان محمد سعد، مدرسة ابولو الشعرية في ضوء النقد الحديث، دار المعارف القاهرة .

24 - محمد حسن عبد الله، مداخل النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية السعودية، للطبعة و النشر و التوزيع القاهرة 2005.

25 - نذير العظمة، جبران خليل جبران في ضوء مؤثرات أجنبية .

26 - الناعوري عيسى، اليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث، منشورات عويدات، بيروت لبنان.

27 - الناعوري عيسى، أدب المهجر، دار المعارف بمصر ط2،1967 .

28 - النشاوي نسيب، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الاتباعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 .

29 - الورقي سعيد، في الأدب و النقد الأدبي، دار المعرفة الجامعية .

30 - يس فؤاد في كتابه الشاعر المهاجر.

31 - رباحية جورج فارس، جريدة زمان الوصل 2007/10/27 .

32 - أورنك زيب الاعظمي، مجلة الاولكة 2015/13 .

33 - رباحية جورج فارس، مجلة كفريو الثقافية 28 نيسان 2014 .

الفهرس

ملخص

تعد المدرسة الرومانسية من المدارس المثيرة للجدل و التي قامت بعد انطفاء ضوء المدرسة الكلاسيكية ، جاءت بعد أن ساد الروتين و الملل الشعر الكلاسيكي فكان لابد من نهضة تضفي ضوء على الشعر الأدبي الغربي منه و العربي فنجد من كان لهم دور فعال في إحياء المدرسة الرومانسية الغربية أمثال: فكتور هوجو- شكسبير- الفونس دي لامارتين .....الخ، و نجد من العرب أمثال: ميخائيل نعيمة – جبران خليل جبران – نسيب الصياغة أو الأسلوب، فصارت الطبيعة إلهام هؤلاء الشعراء و العاطفة و الحب و التسامح سائد في أشعارهم.